المقاصد الشرعية من العبادات البدنية
(الصلاة / الزكاة / الصيام / الحج)

إعداد الباحثة

د / حُسن عبد الله عبيد العصيمي

أستاذ مساعد كلية الآداب والعلوم الإدارية

بجامعة أم القرى

مكة المكرمة

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدي الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،،،،، وبعد :

إن الحديث عن المقاصد الشرعية يطرح قضية في غاية الأهمية في فهم نصوص الشريعة، هي أهمية الاعتماد على الكليات الشرعية، وتحكيمها في فهم النصوص الجزئية وتوجيهها، والتعامل مع النصوص الشريعة بوصفها وحدة متكاملة يكمل بعضها بعضاً ويعضده، وهو نوع من أنواع رد المتشابهات إلى المحكمات، والجزئيات إلى الكليات – فكليات الشريعة وهي مقاصد الشريعة – هي الأصول القطعية الحاكمة لكل اجتهاد وتفكير إسلامي.

والحمد لله الذي شرع الشرائع فأحكمها، وربط العبادات بالمقاصد فأتقنها، وصلى الله وسلم على رسول البشرية ومعلمها الذي بعثه الله بخاتم الأديان وأكملها، وعلى آله وصحبه الذين أدركوا مقاصد العبادات وحكمها فانطلقوا يبينون للناس غاياتها ومعالمها.

ومن يطالع الكتاب الكريم، وسنة المصطفى المختار بتدبر وتأمل يعلم أن الدين الإسلامي عُني بإصلاح مقاصد المكلفين ونياتهم عناية تفوق اهتمامه بأي مسألة أخرى، ذلك أن الأعمال تصبح مظاهر جوفاء، وصوراً صماء إذا خلت من المقاصد الصادقة الحقة.

لذا حاولت في بحثي المتواضع الكتابة عن:

المقاصد الشرعية من العبادات البدنية وهي الصلاة والزكاة والصوم والحج

لأن العبادة ما لم تقم على المقاصد الشرعية فإنها تعد في ميزان الله هباء تذروه الرياح وسراباً إذا جاء صاحبه في اليوم الذي يجمع الله فيه

الأولين والآخرين لم يحده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب.

وهذا البحث يتضمن فصلين وكل فصل يتضمن عدة مباحث وهي على النحو التالي:

الفصل الأول :

معنى المقاصد وبيان موضوعها وفوائدها مع ذكر قواعدها وكيفية معرفتها مع بيان أهميتها وطرق إثباتها، ويتضمن مبحثان :

المبحث الأول : وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : تعريف مقاصد الشريعة لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني : بيان مقاصد الشريعة وفوائدها.

المبحث الثاني : قواعد المقاصد وكيفية معرفتها وأهميتها وطرق إثباتها :

المطلب الأول : قواعد المقاصد ويتضمن :

أولاً : مقاصد الشارع.

ثانياً : مقاصد المكلف.

المطلب الثاني : كيف تعرف مقاصد الشريعة.

المطلب الثالث : أهمية المقاصد الشرعية وطرق إثباتها.

الفصل الثاني : المقاصد من العبادات البدنية (الصلاة، الزكاة، الصيام، الحج)، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : مفهوم العبادة وحدودها وأصلها ومبناها ومصطلحاتها عند الفقهاء والأصوليين وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : مفهوم العبادات وحدودها.

المطلب الثاني : أصل العبادات ومبناها.

المطلب الثالث : العبادة في مصطلح الفقهاء والأصوليين.

المبحث الثاني : الأدلة على أن المقاصد معتبرة في العبادات والتصرفات

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : الأدلة القرآنية والأحاديث النبوية.

المطلب الثاني : القصد إلى الفعل أمر ضروري وعدم اعتبار الشارع للأفعال التي وقعت من غير مقصد

المطلب الثالث : النية سر العبودية وروحها.

المبحث الثالث : المقاصد من العبادات البدنية (الصلاة والزكاة، الصوم، الحج)، وفيه أربعة مطالب.

المطلب الأول : مقاصد الصلاة.

المطلب الثاني : مقاصد الزكاة.

المطلب الثالث : مقاصد الصيام.

المطلب الرابع : مقاصد الحج.

الخاتمة.

الفهارس :

- فهرس الآيات.
- فهرس الأحاديث.
- فهرس المراجع.

الفصل الأول
معنى المقاصد وبيان موضوعها وفوائدها مع ذكر قواعدها وكيفية معرفتها مع بيان أهميتها وطرق إثباتها

ويتضمن مبحثان :

المبحث الأول : وفيه مطلبان :

المطلب الأول : تعريف مقاصد الشريعة لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني : بيان موضوع مقاصد الشريعة وفوائدها.

المبحث الثاني : قواعد المقاصد وكيفية معرفتها وأهميتها وطرق إثباتها، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : قواعد المقاصد ويتضمن :

أولاً : مقاصد الشارع.

ثانياً : مقاصد المكلف.

المطلب الثاني : كيف تعرف مقاصد الشريعة.

المطلب الثالث : أهمية المقاصد الشرعية وطرق إثباتها.

المبحث الأول
بيان معنى المقاصد لغة واصطلاحاً مع بيان موضوع مقاصد الشريعة وفوائدها

وفيه مطلبان:

المطلب الأول : **تعريف مقاصد الشريعة لغة واصطلاحاً**:

مقاصد الشارع ومقاصد الشريعة والمقاصد الشرعية كلها مصطلحات تستعمل بمعنى واحد وهو المعنى الذي نريد تعريفه وبيان المقصود منه في هذا المطلب.

أولاً : التعريف اللغوي لمقاصد الشريعة :

– المقاصد جمع مقصد ويأتي لعدة معاني منها : الاعتماد والأمُّ

وإتيان الشيء، نقول : قصده وقصد له وقصد إليه إذا أمَّه وتوجه إليه.

- استقامة الطريق ومنه قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ﴾[1]، ويقال طريق مقاصد، أي : سهل مستقيم .
- العدل والتوسط وعدم الإفراط ومنه قوله تعالى : ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ ﴾ [2]، وقوله ﷺ : ((القصد القصد تبلغوا)) [3] بمعنى التوسط والاعتدال.

ولعل المعنى الأول أقرب للمراد وبقية المعاني اللغوية منطوية ضمنه فتكون المقاصد هي القضايا التي اعتمدت عليها الشريعة وأمَّتها في أحكامها وسارت على سبيلها المستقيم[4] دون تعد أو تفريط.

أما الشريعة أو الشرع في اللغة : فهي عبارة عن البيان والاجتهاد فيقال : شرع الله كذا أي جعله طريقاً ومذهباً ومنه المشرعة، وهي المواضع التي ينحدر منها الماء فالشريعة الائتمار بالتزام العبودية، وقيل الشريعة هي الطريق في الدين.

ثانياً : التعريف المقاصد اصطلاحاً[5]:

قيل تعريف المقاصد اصطلاحاً لابد من كلمة عن أقسام المقاصد لمعرفة القسم المراد تعريفه.

تنقسم المقاصد إلى ثلاثة أقسام :

١ – مقاصد الخالق من الخلق، وهي أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً. قال

(١) سورة النحل، الآية (٩) .
(٢) سورة لقمان، الآية (١٩) .
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الحقائق، باب القصد والمداومة على العمل رقم (٦٠٩٨) .
(٤) ينظر : منهج استنباط أحكام النوازل الفقهية المعاصرة، للدكتور / القحطاني، ص٥٢٠ .
(٥) ينظر : فيض الباري ٤/٤٢٥ .

تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [1].

٢ – مقاصد الخالق من إنزال الشريعة أو بعبارة أخرى مقاصد الشريعة.

٣ – مقاصد المكلفين والمهم في ذلك (القسم الثاني) أي : مقاصد الشريعة التي هي بدورها تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

- مقاصد الشريعة العامة – والعموم هنا متعلق بالمقاصد –، وهي ما تعم جميع أبواب الشريعة أو معظمها.
- مقاصد الشريعة الخاصة : وهي ما تخص بباب من أبواب الشريعة، كمقاصد الشريعة من المعاملات المالية، أو القضاء، أو أحكام الأسرة.
- مقاصد الشريعة الجزئية : وهي ما يقصده الشارع من كل حكم شرعي، كالقصد من إيجاب الصلاة، أو الصوم.. أو من تحريم الزنا والخمر... أو من إباحة الأكل والشر.. وأكثر من اعتنى بهذا النوع من المقاصد الفقهاء في كتبهم الفقهية.

والمهم تعريفه من هذه الأقسام الثلاثة هو القسم الأول، أي : مقاصد الشريعة العامة. ومن هنا لقول : لم يوجد عند الأصوليين القدامى تعريفاً جامعاً مانعاً لمقاصد الشريعة العامة وإنما عبروا عنها بعدة تعبيرات منها [2]:

أ – جلب المصلحة ودرء المفسدة [3].

ب – المعاني[4].

ج – الغايات [1].

---

(١) سورة الذاريات، الآية (٥٦) .

(٢) ينظر : مقاصد الشريعة عند الإمام العز ، ص٨٧ .

(٣) ينظر : المستصفى ٢٨٦/١، وينظر : الأحكام ٣٨٩/٣، وينظر المنتهى ٢٣٩/٢ .

(٤) ينظر : ميزان الأصول ٥٧٥، ينظر الأحكام لابن حزم ١٠١/٨، ينظر : الموفقات ٢٦٨/٢، طبعة دار الفكر.

د – الحكم [٢].

وذكر العلماء المعاصرون عدة تعريفات لمقاصد الشريعة منها :

١ – مقاصد الشريعة : هي الغاية منها والأسرار التي وضعها الشارع الحكيم عند كل حكم من أحكامها.

٢ – مقاصد الشريعة هي : القيم العليا التي تكمن وراء الصيغ والنصوص، ويستمد منها التشريع جزئيات وكليات، وهذان تعريفان للمقاصد العامة والجزئية [٣].

٣ – مقاصد الشريعة هي : الغايات والأهداف والنتائج والمعاني التي أتت بها الشريعة الغراء وأثبتتها الأحكام الشرعية، وسعت إلى تحقيقها وإيجادها، والوصول إليها في كل زمان ومكان [٤].

٤ – مقاصد الشريعة هي : الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد [٥].

٥ – مقاصد الشريعة هي : الأمور والمعاني السامية والحكم والقيم والمثل العليا التي ابتغى الشارع تحقيقها والوصول إليها من النصوص التي وردت عنه، أو الأحكام التي شرعها لعباده [٦]. وهذه التعريفات تعتبر تعريفات للأنواع الثلاثة من المقاصد العامة والخاصة والجزئية.

٦ – مقاصد الشريعة هي : المعاني والأهداف الملحوظة في جميع أحكامه أو معظمها، أو هي الغاية من الشريعة والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها[٧]، ويعد هذا التعريف تعريفًا مكوناً

---

(١) ينظر : نهاية السول مع شرح البدخشي ١/٧٧ .
(٢) ينظر : حاشية البناني على شرح الجلال ٢/٢٧٦ .
(٣) ينظر : مقاصد الشريعة عند الإمام العز ص٨٨ .
(٤) ينظر : مقاصد الشريعة للزحيلي، ص٣٠١ .
(٥) ينظر : نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي ص ٧ .
(٦) ينظر : الإسلام : مقاصده وخصائصه، ص ٩٩ .
(٧) ينظر : أصول الفقه للزحيلي، ٢/١٠١٧ .

من جزأين، الجزء الأول : يعرف المقاصد العامة، والجزء الثاني : يعرف المقاصد الجزئية. ولعل أول تعريف خاص بمقاصد الشريعة العامة هو ما ذكره ابن عاشور.

٧ – مقاصد الشريعة العامة هي : المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها بحيث لا تقتصر ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة[١] وجاء تعريف آخر لمقاصد الشريعة العامة قريب من هذا هو.

٨ – الأهداف التي قصدها الشارع من جميع أحكامه[٢] أو معظمها ومما تقدم نخلص إلى القول بأن مقاصد الشريعة العامة : " الغايات التي ترمي إليها كل الأحكام الشرعية أو معظمها، ولا تختص بحكم دون حكم، وتدعو لتحقيقها والمحافظة عليها في كل زمان ومكان " [٣].

ومن التعريفات السابقة يمكن أن نختار تعريف المقاصد بأنها : " الأهداف التي قصدها الشارع من جميع أحكامه[٤] أو معظمها ومما تقدم نخلص إلى القول بأن مقاصد الشريعة العامة : " الغايات التي ترمي إليها كل الأحكام الشرعية أو معظمها، ولا تختص بحكم دون حكم، وتدعو لتحقيقها والمحافظة عليها في كل زمان ومكان " [٥].

المطلب الثاني : بيان موضوع مقاصد الشريعة وفوائدها:

أولاً : موضوع مقاصد الشريعة :

هو بيان وعرض حكم الأحكام، وأسرار التشريع، وغايات الدين، ومقاصد الشارع، ومقصود المكلف، ونيته، وغير ذلك مما يندرج ضمن ما

(١) ينظر : مقاصد الشريعة الإسلامية، ص٥١ .
(٢) ينظر : مقاصد الشريعة العامة للدكتور إبراهيم سلقيني، ص٨ .
(٣) ينظر : مقاصد الشريعة عند الإمام العز، ص٨٩ .
(٤) ينظر : مقاصد الشريعة العامة للدكتور إبراهيم سلقيني، ص٨ .
(٥) ينظر : مقاصد الشريعة عند الإمام العز، ص٨٩ .

أصبح يعرف حالياً بمقاصد الشريعة التي أصبحت علماً شرعياً وفناً من فنون الشريعة الإسلامية، وضرباً من ضروبها، وشرطاً من شروط فهمها وتعلمها وتطبيقها والاجتهاد في ضوئها، بل إن المقاصد يتزايد الاهتمام بها يوماً بعد يوم بحثاً وتأليفاً، وتحقيقاً وتعليقاً تنظيرياً وتدويناً، الأمر الذي أدى بكثير من الباحثين والدارسين إلى الدعوة إلى تأسيس نظرية متكاملة في علم المقاصد يرتكز موضوعه على بحث المصالح الشرعية من حيث تعريفها، وأمثلتها، وحجيتها [(١)]، وحقيقتها، وأنواعها، ووسائلها، وآثارها وعلاقتها بالأدلة، وصلتها بالواقع، وموقفها من العقل، وغير ذلك مما يتعلق به موضوع هذا الفن الجديد.

ثانياً : فوائدها [(٢)]:

لدراسة المقاصد وبحثها فوائد وأغراض كثيرة نذكر منها :

١ – إبراز علل التشريع وحكمه وأغراضه ومراميه الجزئية والكلية، العامة والخاصة، في شتى مجالات الحياة وفي مختلف أبواب الشريعة.

٢ – تمكين الفقيه من الاستبناط في ضوء المقصد الذي سيعينه على فهم الحكم وتحديده وتطبيقه [(٣)].

٣ – إثراء المباحث الأصولية ذات الصلة بالمقاصد على نحو المصالح، والقياس، والعرف، والقواعد، والذرائع وغيرها.

٤ – التقليل من الاختلاف والنزاع الفقهي، والتعصب المذهبي، وذلك باعتماد علم المقاصد في عملية بناء الحكم، وتنسيق الأداء المختلفة ودرء التعارض بينها.

٥ – التوفيق بين خاصتي الأخذ بظاهر النص، والالتفات إلى روحه ومدلوله، على وجه لا يخل فيه المعنى بالنص، ولا بالعكس التجري

(١) ينظر : علم المقاصد الشرعية، د / نور الدين بن مختار الخادمي، ص٢٧ .
(٢) ينظر : المرجع السابق، ص٥١ .
(٣) ينظر : المقاصد لابن عاشور، ص٨ .

الشريعة على نظام واحد لا اختلاف فيه ولا تناقض[1].

٦ – عون المكلف على القيام بالتكاليف والامتثال على أحسن الوجوه وأتمها ذلك أن المكلف إذا علم مثلاً أن المقصد من الحج التأديب الكامل مع الناس، والتحلي بأخلاق الإسلام العليا فإنه إذا علم ذلك فسيعمل جاهداً ومجتهداً قصد تحصيل تلك المرتبة العليا التي تجعل صاحبها عائداً بعد حجه كيوم ولدته أمه.

٧ – عون الخطيب والداعية، والمدرس، والقاضي، والمفتي، والمرشدون، والحاكم، وغيرهم على أداء وظائفهم وأعمالهم على وفق مراد الشارع ومقصود الأمر والنهي، وليس على وفق حرفيات النصوص، وظواهر الخطاب، ومباني الألفاظ [2].

(١) انظر : الموافقات ٣٩٢/٢ .

(٢) ينظر : علم المقاصد الشرعية، للخادمي، ص ٥١، ٥٢ .

المبحث الثاني
قواعد المقاصد وكيفية معرفتها وأهميتها وطرق إثباتها

وفيه مطلبان:

المطلب الأول : قواعد المقاصد:

أولاً : مقاصد الشارع:

١ – وضع الشرائع إنما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل معاً.

٢ – باستقراء أدلة الشريعة – الكلية والجزئية – ثبت قطعاً أن الشارع قاصد إلى المصالح الضرورية والتحسينية.

٣ – الضروريات : هي التي لابد فيها من قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهازج وفوت حياة وفي الآخرة فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين [١].

٤ – الحاجيات : هي المفتقر إليها للتوسعة ورفع الضيق والحرج، دون أن يبلغ فقدانها مبلغ الفساد العام والضرر الفادح [٢].

٥ – التحسينات : هي الأخذ بما يليق من محاسن العادات وتجنب الأحوال المدنسات التي تأنفها العقول الراجحات، ويجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق[٣].

٦ – مجموع الضروريات خمسة، وهي : الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل[٤].

---

(١) ينظر : الموفقات للشاطبي ٢/٨ .
(٢) ينظر : الموفقات للشاطبي ٢/ ١١ .
(٣) ينظر : الموفقات للشاطبي ٢/١١ .
(٤) ينظر : الموفقات للشاطبي ٢/١٠ .

٧ – أجمعت الأمة بل سائر الملل على حفظ هذه الأصول الخمسة [١]: وهكذا يقتضي الأمر في الحاجيات والتحسينات[٢].

٨ – هذه الضروريات تأصلت في القرآن وتفصلت في السنة [٣].

٩ – المقاصد الضرورية في الشريعة، أصل للحاجيات والتحسينية[٤].

١٠ – لكل مرتبة من المراتب الثلاث مكملات، بحيث لو فقدت لم يخل ذلك بحكمتها الأصلية[٥].

١١ – كل تكملة فلها – من حيث هي تكملة – شرط، وهو ألا يعود اعتبارها عن الأصل بالإبطال[٦].

١٢ – مجموع الحاجيات، ومجموع التحسينات، يصح اعتبار كل منها بمثابة فرد من أفراد الضروريات [٧].

١٣ – القواعد الكلية من الضروريات والحاجيات والتحسينات لم يقع فيها نسخ وإنما وقع النسخ في الجزئيات[٨].

١٤ – المصلحة إذا كانت هي الغالبة – عند مناظرتها بالمفسدة في حكم الاعتياد – فهي المقصود شرعاً، ولتحصيلها ومع الطلب على العباد. وكذلك المفسدة إذا كانت هي الغالبة – بالنظر إلى المصلحة في حكم الاعتياد – فرفعها هو المقصود شرعاً، ولأجله وقع النهي[٩].

---

(١) ينظر : الموفقات للشاطبي ١/٣٨، ٢/٢٥٥ .
(٢) ينظر : الموفقات للشاطبي ٣/١٧٧ .
(٣) ينظر : الموفقات للشاطبي ٤/٩٧.
(٤) ينظر : الموفقات للشاطبي ٢/١٦ .
(٥) ينظر : الموفقات للشاطبي ٢/١٢.
(٦) ينظر : الموفقات للشاطبي ٢/١٣ .
(٧) ينظر : الموفقات للشاطبي ٢/٢٣ .
(٨) ينظر : الموفقات للشاطبي ٣/١٠٥ و ١١٧ .
(٩) ينظر : الموفقات للشاطبي ٢/٢٦ – ٢٧

١٥ – المفهوم من وضع الشارع أن الطاعة أو المعصية تعظيم بحسب عظم المصلحة الناشئة عنها، وقد علم أن أعظم المصالح جريان الأمور الضرورية الخمسة المعتبرة في كل ملة وأن أعظم المفاسد ما يكر بالإخلال عليها [١].

١٦ – بحسب عظم المفسدة يكون الاتساع والتشدد في سد ذريعتها [٢].

١٧ – اجتناب النواهي آكد وأبلغ في القصد الشرعي من فعل الأوامر ودرء المفاسد أولى من جلب المصالح [٣].

١٨ – الأصل في العبادات – بالنسبة إلى المكلف – التعبد دون الالتفات إلى المعاني، والأصل في أحكام العادات الالتفات إلى المعاني [٤].

١٩ – المقاصد العامة للتعبد هي : الانقياد لأوامر الله تعالى وإفراده بالخضوع والتعظيم لجلاله، والتوجه إليه [٥].

٢٠ – خلق الدنيا مبني على بذل النعم للعباد، ليتناولوها ويتمتعوا بها، وليشكروا الله عليها، فيجازيهم في الدار الآخرة، وهذان القصدان من أظهر المقاصد الشرعية [٦].

٢١ – المقصد الشرعي من وضع الشريعة إخراج المكلف عن داعية هواه حتى يكون عبداً لله اختياراً، كما هو عبد الله اضطرارياً [٧].

٢٢ – وضعت الشريعة على أن تكون أهواء العباد تابعة لمقصود الشارع فيها وقد وسَّع الله على العباد في شهواتهم وتنعماً لهم بما يكفيهم

(١) ينظر : الموفقات للشاطبي ٢/ ٢٩٨-٢٩٩ .
(٢) ينظر : الموفقات للشاطبي ١/١٠٤ .
(٣) ينظر : الموفقات للشاطبي٤/٢٧٢ .
(٤) ينظر : الموفقات للشاطبي ٢/٣٠٠ و ٢/١٣٥ .
(٥) ينظر : الموفقات للشاطبي ٢/٣٠١ .
(٦) ينظر : الموفقات للشاطبي٢/٣٢١ .
(٧) ينظر : الموفقات للشاطبي ٢/١٦٨ .

ولا يفضي إلى المفسدة ولا إلى المشقة[١].

٢٣ – مشقة مخالفة الهوى ليست من المشقات المعتبرة في التكليف ولا رخصة فيها البتة[٢].

٢٤ – تخيير المنتفي مضاد لقصد الشريعة ؛ لأنه يفتح له باب إتباع الهوى، وقصد الشارع إخراجه عن هواه [٣].

٢٥ – الشارع لا يقصد التكليف بالشاق والاعنات فيه [٤].

٢٦ – لا نزاع في أن الشارع قاصد إلى التكليف بما يلزم فيه كلفة ومشقة ما. ولكنه لا يقصد نفس المشقة بل يقصد ما في ذلك من المصالح العائدة على المكلف [٥].

٢٧ – إذا كانت المشقة خارجة عن المعتاد بحيث يحصل بها للمكلف فساد ديني أو دنيوي، فمقصود الشارع فيها الرفع على الجملة [٦].

٢٨ – وإذا كانت المشاق المعتادة فالشارع وإن كان لا يقصد وقوعها، فليس بقاصد إلى رفعها أيضاً [٧].

٢٩ – العزيمة أصل، والرخصة استثناء ولهذا فالعزيمة مقصودة للشارع بالقصد الأول، والرخصة مقصودة بالقصد الثاني [٨].

٣٠ – أسباب الرخص ليست بمقصودة التحصيل للشارع ولا مقصودة

(١) ينظر : الموفقات للشاطبي ٣٧٧/١ .
(٢) ينظر : الموافقات ٣٣٧/١، و ١٥٣/٢ .
(٣) ينظر : الموفقات للشاطبي ٢٦٢/٤ .
(٤) ينظر : الموفقات للشاطبي ١٢١/٢ .
(٥) ينظر : الموفقات للشاطبي ١٢٣/٢-١٢٤ .
(٦) ينظر : الموفقات للشاطبي ١٥٦/٢ .
(٧) ينظر : الموفقات للشاطبي ١٥٦/٢ .
(٨) ينظر : الموفقات للشاطبي ٣٥١/١-٣٥٣ .

الرفع [١].

٣١ – إذا ظهر من الشارع – في بادئ الرأي – القصد إلى تكليف ما لا يطاق، فذلك راجع – في التحقيق – إلى سوابقه أو لواحقه وقرائنه [٢].

٣٢ – الأصل في الأحكام الشرعية الاعتدال والتوسط بين طرفي التشدد. والتخفيف فإذا رأيت ميلاً إلى أحد الطرفين، فذلك لمقابلة ومعالجة ميل مضاد واقع أو متوقع في المكلفين [٣].

٣٣ – من مقصود الشارع في الأعمال دوام المكلف عليها [٤].

ثانياً : مقاصد المكلف :

١) الأعمال بالنيات، والمقاصد معتبرة في التصرفات من العبادات والعادات [٥].

٢) المقاصد أرواح الأعمال [٦].

٣) قصد الشارع من المكلف أن يكون قصده في العمل موافقاً لقصده في التشريع، وألا يقصد خلاف ما قصد [٧].

٤) من سلك إلى مصلحة غير طريقها المشروع فهو ساع في ضد تلك المصلحة[٨].

٥) القصد إلى المشقة باطل ؛ لأنه مخالف لقصد الشارع ؛ ولأن الله لم

---

(١) ينظر : الموفقات للشاطبي ١/٣٥٠ .
(٢) ينظر : الموفقات للشاطبي ٢/١٠٧ .
(٣) ينظر : الموفقات للشاطبي ٢/١٦٣-١٦٧ .
(٤) ينظر : الموفقات للشاطبي٢/٢٤٢ .
(٥) ينظر : الموفقات للشاطبي ٢/٣٢٣ .
(٦) ينظر : الموفقات للشاطبي٢/ ٣٤٤ .
(٧) ينظر : الموفقات للشاطبي ٢/٣٣١ .
(٨) ينظر : الموفقات للشاطبي ٢/٣٣٣ .

يجعل تعذيب النفوس سبباً للتقرب إليه ولا نبيل ما عنده[١].

٦) ليس للمكلف أن يقصد المشقة لعظم أجرها ولكن له أن يقصد العمل الذي يعظم أجره لعظم مشقته من حيث هو عمل[٢].

٧) التكاليف العادية (تكاليف العادات والمعاملات). يكفي لصحتها ألا يكون القصد فيها مناقضاً لقصد الشارع ولا يشترط فيها ظهور الموافقة [٣].

٨) لا فرق بين القصد وعدم القصد في الأمور المالية، والخطأ فيها مساو للعمد في ترتب الغرم على إتلافها [٤].

٩) لا يلزم في تعاطي الأسباب من قبل المكلف، القصد إلى مسبباتها، وإنما عليه الجريان تحت الأحكام المشروعة لا غير [٥].

١٠) إيقاع السبب، بمنزلة إيقاع المسبب، قصد ذلك السبب أم لا [٦].

المطلب الثاني : كيف تعرف مقاصد الشريعة :

١) تحديد مقاصد الشارع لا ينبني على ظنون وتخمينات غير مطردة [٧].

٢) الأمر بالفعل يستلزم قصد الشارع إلى وقوع ذلك الفعل والنهي يستلزم القصد إلى منع وقوع المنهي عنه[٨].

٣) علل الأحكام تدل على قصد الشارع فيها، فحيثما وجدت اتبعت

(١) ينظر : الموفقات للشاطبي١/٣٤٩ .
(٢) ينظر : الموفقات للشاطبي١/٣٤١ .
(٣) ينظر : الموفقات للشاطبي٢/١٢٩.
(٤) ينظر : الموفقات للشاطبي ٢/١٢٨ .
(٥) ينظر : الموفقات للشاطبي ١/١٩٣ .
(٦) ينظر : الموفقات للشاطبي ١/٢١١ .
(٧) ينظر : الموفقات للشاطبي١/٨٠ .
(٨) ينظر : الموفقات للشاطبي ٢/٣٩٣ و ٣/١٢٢ .

.[1]

٤) مدح العقل دليل على قصد الشارع إلى إيقاعه وذمه دليل على القصد إلى عدم إيقاعه[2].

٥) الامتنان بالنعم يشعر بالقصد إلى تناولها والتمتع بها مع الشكر عليها[3].

٦) كل أصل ملائم لتصرفات الشارع، وكان معناه مأخوذاً من مجموعة أدلة حتى بلغ درجة القطع، نبني عليه ويرجع إليه، ولو لم يشهد له نص معين [4].

٧) وضع الأسباب تستلزم قصد الواضع وهو الله تعالى إلى المسببات [5].

٨) كل ما كان مكملاً ومقوياً لمقصود شرعي فهو مقصود تبعاً[6].

٩) إذا سكت الشارع عن أمر، مع وجود داعي الكلام فيه، دل سكوته على قصده إلى الوقوف عندما حد وشرع[7].

١٠) إذا فهمنا من الحكم الشرعي حكمة مستقلة لشرعه، فلا يلزم ألا يكون ثم حكمة أخرى، ومصلحة ثانية وثالثة أو أكثر من ذلك [8].

المطلب الثالث: أهمية المقاصد الشرعية وطرق إثباتها

(١) ينظر : الموفقات للشاطبي ٣٩٤/٢ و ١٥٤/٣ .
(٢) ينظر : الموفقات للشاطبي ٢٤٢/٢ .
(٣) ينظر : الموفقات للشاطبي ١١٧/١ و ١٢٦ .
(٤) ينظر : الموفقات للشاطبي ٣٩/١ .
(٥) ينظر : الموفقات للشاطبي ١٩٤١/١ .
(٦) ينظر : الموفقات للشاطبي ٣٩٧/٢ .
(٧) ينظر : الموفقات للشاطبي ٤١٠/٢ و ٣٦١ .
(٨) ينظر : الموفقات للشاطبي ٣١١/٢، وينظر : نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي لآحمد الريسوني من ٣٤٤-٣٤٩ .

أولاً : أهمية المقاصد الشرعية :

لعلم مقاصد الشريعة أهمية عظيمة، لا يمكن لعاقل أن ينكر ذلك إطلاقاً " فاستقراء الأدلة من القرآن والسنة الصحيحة توجب لنا اليقين بأن أحكام الشريعة الإسلامية منوطة بحكم وعلل راجعة للصلاح العام للمجتمع والأفراد ".والعلم بمقاصد الشريعة يخفف على المكلف الكثير من الأعباء ؛ لأنها قائمة على التيسير ورفع الحرج والمشقة، وعدم تكليف ما لا يطاق، كما أن علم المقاصد يفتح الباب أمام المجتهدين، خاصة في المستجدات والنوازل، وهذا يؤكد صلاحية هذه الشريعة وتحددها وتوافقها مع كل عصر، ومن خلال فهم مقاصد الشريعة نستطيع فهم النصوص وتوجيهها، واستنباط الأحكام الشرعية منها، كما تساعدنا في مسائل التعارض والترجيح، وتوجيه الفتوى ومعرفة علل الأحكام، لتتخذ أساساً للقياس[(١)].

إن المسلم مهما يكن موقعه في مجتمعه فهو داعية إلى الخير على قدر فهمه وعلمه، ولابد من الكشف عن حقائق هذا الدين ومقاصده وحكمه ليظهر للناس أن الشارع ما قصد من تشريعه هذا إلا ما يحقق لهم مصالحهم فيطالبهم بالالتزام وتطبيق أوامره وأحكامه، والابتعاد عن نواهيه وزواجره ؛ لأن في الأول مصلحة يريد جلبها، وفي الثاني مفسدة، يريد دفعها، وبهذا تظهر أهمية مقاصد الشريعة لكل المسلمين العلماء منهم والعاديين [(٢)].

ثانياً : طرق إثبات مقاصد الشريعة :

يصطلح على تسمية هذا الموضوع بمسالك الكشف عن المقاصد،

(١) ينظر : مقاصد الشريعة عند ابن القيم الجوزية، تأليف الدكتور / سميح عبد الوهاب الجندي، ص٩١-٩٢ .

(٢) المرجع السابق، ص٩ .

أو سبل إثبات المقاصد، أو طرق كشف وتعيين المقاصد وغير ذلك [١].

ويمكن أن أورد بيان ذلك على ضوء ما قرره بالخصوص كل من الشاطبي وابن عاشور[٢].

فأولاً : الاستنباط المباشر من القرآن والسنة :

سواء من خلال مجرد الأمر والنهي الابتدائيين التصريحيين[٣] أو من خلال اعتبار الأمر والنهي [٤].

ومثال الأمر والنهي : أمر تعالى بالصلاة والزكاة والحج وإقامة العدل والإحسان والشورى.... ونهيه عن الفواحش والمعاصي والمحرمات...، وكل تلك الأوامر مُعللة بحكم ومقاصد جلب الخير والنفع للإنسان، ودفع الشر والضرر عنه.

فيفهم من الأمر الشرعي أن مقصود الشارع ومراده يتمثل في القيام بالمأمور به، وكذلك يفهم من النهي الشرعي أن المقصود منه هو تجنيب المنهي عنه وتركه والابتعاد عنه، فالأمر والنهي هما الطريق الأول لمعرفة المقاصد الشرعية وإثباتها وتقريرها. أو من خلال النصوص التقريرية " [٥].

ومثال النصوص التقريرية : جملة الآيات والأحاديث التي أقرت كثيراً من المقاصد والمصالح، كمقصد رفع الحرج الذي أقرته الآية الكريمة : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [٦]، ومقصد مراعاة التيسير والتخفيف والذي أقرته الآية : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ

(١) ينظر : الموافقات ٣٩١/٢، فصل في بيان الجهات التي يعرف بها مقاصد الشارع على الحد الأوسط وينظر المقاصد ص١٩، وعنوان ابن عاشور لذلك بقوله : " طرق إثبات المقاصد الشرعية " .

(٢) ينظر : مسالك الكشف د / النجار .

(٣) ينظر : الموافقات ٣٩٣/٢ .

(٤) ينظر : الموافقات ٣٩٤/٢ .

(٥) المقصود النصوص التي أقرت المقاصد وليس مجرد السنة التقريرية فحسب .

(٦) سورة الحج، الآية (٧٨) .

بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [1]، وكمقصد العدل والحرية والثابت بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ [2]، وقوله تعالى : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾ [3]، ومن خلال تتبع الأدلة الواردة حول علة واحدة، ومثالها : النهي عن الاحتكار وعن بيع الطعام بل قبضه، وعن بيع الطعام بالطعام نسيئة، وكل ذلك قد أفاد مقصد تيسير رواج الطعام وتحصيله [4]، أو من خلال تتبع السكوت على أن المقصد في عدم النطق بالحكم وليس بالتصريح به، ومثاله سجود الشكر [5]، أو من خلال تتبع اجتهادات السلف [6].

ثانياً : الاستخراج من المقاصد الأصلية والتابعة :

المقاصد الأصلية : هي المقاصد التي شرعت ابتداءً وقصدت أولاً وأساساً، وأمثالها: التناسل وإعمار الكون، هو المقصد الأصلي للزواج. أما المقاصد التابعة فهي المقاصد التي شرعت بدرجة ثانية بعد المقاصد الأصلية قصد تقويتها وتأكيدها ومثالها في الزواج الاستمتاع بالزوجة والأنس بالذرية، والتجمل بمال المرأة، وتحقيق الراحة النفسية.

ومثال الاستخراج من المقاصد الأصلية : استخراج مقاصد السكن والأنس بالذرية والاستمتاع بالزوجة من المقصد الأصلي، والذي هو التناسل.

أما الاستخراج من المقاصد الجزئية فهو يتمثل في تتبع العلل الكثيرة الثابتة والواردة في تحديد حكمة واحدة مشتركة، فتكون تلك الحكمة

(١) سورة البقرة، الآية (١٨٥) .
(٢) سورة النحل، الآية (٩٠) .
(٣) سورة البقرة، الآية (٢٥٦) .
(٤) ينظر : المقاصد ابن عاشور ٢/٢١ .
(٥) ينظر : الموافقات ٢/٤٠٩ .
(٦) ينظر : المقاصد ابن عاشور ص٢٧-٢٨ .

بمثابة المقصد[1] الكلي الأصلي ومثال ذلك : مقصد الأخوة ودوام العشرة، المستخرج من علل النهي عن الخطبة على الخطبة، والسوم على السوم، والنهي عن الوقوع في العرض أو المال أو الكرامة بالغيبة والنميمة والغضب والتفريد وغير ذلك [2].

(١) ينظر : علم المقاصد للخادمي ٦٩/٢ .
(٢) ينظر : المقاصد ابن عاشور ص٢٠ .

الفصل الثاني
المقاصد من العبادات البدنية
(الصلاة، الزكاة، الصيام، الحج)

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : مفهوم العبادة وحدودها وأصلها ومبناها ومصطلحها عند الفقهاء والأصوليين : وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول : مفهوم العبادات وحدودها.

المطلب الثاني : أصل العبادة ومبناها.

المطلب الثالث : العبادة في مصطلح الفقهاء والأصوليين.

المبحث الثاني : الأدلة على أن المقاصد معتبرة في العبادات والتصرفات : وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : الأدلة القرآنية والأحاديث النبوية.

المطلب الثاني : القصد إلى الفعل أمر ضروري وعدم اعتبار الشارع للأفعال التي وقعت من غير قصد.

المطلب الثالث : النية سر العبودية وروحها.

المبحث الثالث : المقاصد من العبادات البدنية، وهي:(الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج)، وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : مقاصد الصلاة .

المطلب الثاني : مقاصد الزكاة.

المطلب الثالث : مقاصد الصوم.

المطلب الرابع : مقاصد الحج.

المبحث الأول
مفهوم العبادة وحدودها وأصل مبناها مع بيان مصطلح العبادة عند الفقهاء والأصوليين

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : مفهوم العبادة وحدودها :

هذا الكون الذي نعيش فيه معبد رحب، تتجاوب جنباته بالتسبيح لخالقه ومنشئه. فالأرض والسماء وما فيها وما بينهما مستسلم خاضع لله المبدع الموجد قال تعالى : ﴿ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ (١).

ومع استسلامهم لربهم يسجدون : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴾ (٢).

ومع الاستسلام والسجود وتسبيح وتقديس : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (٣).

والإنسان في هذا الكون عالم من هذه العوالم التي أوجدها الله سبحانه لتعبده وتتوجه إليه، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ (٤).

فالعبادة هي غاية الوجود الإنساني، بل الكون كله ما وجد إلا لذلك، فلحري بنا أن نبذل وسعنا في التعرف على مفهوم هذه العبادة، التي من أجلها خلقنا ونحن عندما نحاول الكشف عن حقيقة العبادة يجب علينا أن نتوجه إلى كتاب ربنا وسنة نبينا، كي نتعرف من خلالها على مفهوم العبادة.

والناظر في نصوص الكتاب والسنة يجد أن مدلول العبادة فيها شامل لا يقتصر على الفرائض، فالحياة في منهج الله وحده، كل ما فيها لله، والإسلام لا يفصل بين طريق الدنيا وطريق الآخرة، ولا يفرق بين الفرائض

(١) سورة البقرة، الآية (١١٦) .
(٢) سورة الرعد، الآية (١٥) .
(٣) سورة النور، الآية (٤١)
(٤) سورة الذاريات، الآيات (٥٨) .

والسلوك، ويجعل لكل حركة في حياة المسلم وثيقة الصلة بعقيدته، كي يتوجه إلى ربه منفذاً أمره، ومحققاً رسالته، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١).

والذي حققه ابن تيمية : " أن العبادة : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة " (٢).

المطلب الثاني : أصل العبادة ومبناها :

أصل العبودية الخضوع والذل.

وقوله تعالى : ﴿ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ (٣)، أي ضربي والتعبد التذليل.

والعبادة : الطاعة، وهي أبلغ من العبودية ؛ لأنها غاية التذلل لا يستحقها إلا من له غاية الأفضال وهو الله تعالى " (٤).

هذا الذي ذكره الفيروزآبادي خلاصة ما قاله أصحاب المعاجم في تفسير العبادة، فالعبادة أصلها الخضوع والتذلل، يقول ابن سيده في المخصص(٥) : " أصل العبادة في اللغة: التذلل، والعبادة الخضوع والتذلل والاستكانة ".وأن العبادة المأمور بها شرعاً لا يمكن أن تحقق إلا بأمرين كما يقول ابن تيمية :

الأول : الخضوع والذل لله عز وجل، وعنوان هذا الخضوع هو الاستسلام لأمره، واتباع منهجه، والانقياد لشرعه، فمن رفض ذلك كله فليس

(١) سورة الأنعام، الآيات (١٦٢-١٦٣) .
(٢) مقاصد المكلفين (١) النيات في العبادات لعمر سليمان عبد الله الأشقر، ص٢٤-٤٩، بتصرف .
وينظر : الصلاة فقهها وأسرارها، لمحيي الدين، ص ١٦-١٧ .
(٣) سورة الفجر، آية (٢٩) .
(٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٩/٤ .
(٥) المخصص ٩٦/١٣ .

بخاضع، ولا مطيع [1].

الثاني : أن يصدر هذا الالتزام من قلب بحب الله تعالى، فليس في الوجود من هو أجدر من الله تعالى بأن يحب. فالعبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب، فهي تتضمن غاية الذل لله تعالى بغاية المحبة له " [2]. يقول ابن كثير رحمه الله تعالى : " العبادة في الشرع عبارة عما يجمع كما المحبة والخضوع والخوف " [3].

المطلب الثالث : **العبادة في مصطلح الفقهاء والأصوليين** :

أتينا على مفهوم العبادة وحدودها، ثم بينا أصلها ومبناها، وأوضحنا مدى شمول العبادة التي خلق الله الإنسان من أجلها وعلمنا أن العبادة المرضية لله تعالى التي تجمع كمال المحبة والخضوع.

ولكن العبادة إذا أطلقت اليوم لا يكاد يفقه السامع منها إلا تلك الشعائر التعبدية التي شرعها الله لعباده كالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والعمرة، والذكر ونحو ذلك.

وعموم الفقهاء يقسمون الأحكام الشرعية إلى عبادات ومعاملات، وقد لاحظ الفقهاء فروقاً عدة جعلتهم يذهبون هذا المذهب :

الأول : العبادات عند الفقهاء تعبدية محضة بينما المعاملات معقولة المعنى.

الثاني : العبادات أنشأها الشارع وأمر بها وليس للعباد فيها إلا التلقي والتنفيذ، أما المعاملات فقد تكون موجودة قبل الشرع فيقر الصالح منها، ويلغي السيء، ويهذب ما احتاج إلى تهذيب.

الثالث : يشترط في التكليف بالعبادات العلم بأنه مأمور بها من الله تعالى، إذ لابد للمكلف من نية التقرب بالعبادة إلى الله تعالى،

---

(١) مقاصد المكلفين (١) النيات في العبادات لعمر الأشقر، ص٥٣ .

(٢) مقاصد المكلفين (١) النيات في العبادات، لعمر الأشقر، ص٥٣، بتصرف .

(٣) تيسير العزيز الحميد، لابن كثير، ص٣٠ .

وهذه النية لا تكون إلا بعد معرفة أن العبادة المتقرب بها إليه منه جل وعلا، وأما المعاملات فلا يشترط في صحة فعلها نية التقرب، ولكن لا أجر له فيها إلا بنية التقرب إلى الله تعالى كرد الأمانة والمغصوب وقضاء الديون والإنفاق على الزوجة.

فهذا التقسيم تقسيم اصطلاحي للتيسير والتبويب كان مراد الفقهاء من سلفنا الصالح منه مراداً طيباً، وهم مثابون على ذلك إن شاء الله تعالى.

العبادة في مصطلح الأصوليين (١):

غاية الحب مع غاية الذل وهي كما عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : "العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة".

المبحث الثاني
الأدلة على أن المقاصد معتبرة في العبادات والتصرفات

وفيه ثلاثة مطالب :

(١) العبودية لابن تيمية ج١/٣، شرح لامية الإسلامية لابن تيمية ج١٧/٩ .

المطلب الأول : الأدلة القرآنية :

بالتأمل في آيات الكتاب الكريم نجد أن الآيات التي تتحدث عن القصد والنية هي تلك الآيات التي تتحدث عن الإرادة والإخلاص، وقد يعبر القرآن عن النية والقصد بلفظ "الابتغاء"، فمن النصوص القرآنية التي تتحدث عن القصد والنية بلفظ الإرادة قوله تعالى : ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ﴾ (١)، وقوله : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ (٢).

والمتأمل في هاذين النصين يدرك أن المراد بالإرادة هنا القصد والنية، والنصوص في ذلك كثيرة. والآيات القرآنية الآمرة بالإخلاص والحاثة عليه كثيرة أيضاً كقوله تعالى : ﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ (٣)، وقوله: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ (٤).

وقد استدل العلماء بهاتين الآيتين وأمثالهما على وجوب النية في العبادات، فإن الإخلاص عمل القلب، وهو الذي يراد به وجه الله تعالى (٥).

والآيات الناهية عن الشرك تدل دلالة أكيدة على وجوب النية وإصلاحها، كقوله تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ (٦)، وعبر القرآن عن النية والقصد بلفظ " الابتغاء " كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴾ (٧)، وقوله : ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ

(١) سورة آل عمران، الآية (١٥٢) .
(٢) سورة الكهف، آية (٢٨) .
(٣) سورة الزمر، آية (٢) .
(٤) سورة البينة، آية (٥) .
(٥) انظر : تفسير القرطبي، تفسير الآيتين السابقتين، وانظر بداية المجتهد ٨/١ .
(٦) سورة الكهف، آية (١١٠) .
(٧) سورة الليل، الآيات (١٩) .

وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [1].

ودلالة الآيتين على المراد واضحة، فالممدوح في الآية إنما يفعل ما يفعل من خيرات وإسداء للمعروف طلباً لرضوان ربه، لا يجازي جميلاً أسدى إليه، ولا معروفاً صنع له.

وفي الآية الثانية مديح للذين يبذلون أموالهم طالبين رضوان الله تعالى، فالإنفاق كما قال الله يطفئ غضب الرب كما يطفئ الماء النار، ويجلب رضوان الله تعالى [2].

ثانيا : الأحاديث النبوية :

وعمدة الأحاديث النبوية الذي يرويه أمير المؤمنين أبو حفص عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– قال : سمعت رسول الله – ﷺ – يقول : ((إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه)).

وهذا الحديث يدل على أن الأعمال لا تصح شرعاً ولا تعتبر إلا بالنية، وأن النية هي الفاصلة بين ما يصح وما لا يصح، وكلمة (إنما) وضعت للحصر فهي تثبت الشيء وتنفي ما عداه، فدلالتها، أن العبادة إذا صحبتها النية صحت، وإذا لم تصحبها لم تصح وظاهر الحديث ينفي وجود ذوات الأعمال التي تخلو من النية [3].

المطلب الثاني : أولاً : القصد إلي الفعل أمر ضروري :

ومما يدل على اعتبار المقصود في العبادات والتصرفات أن الأفعال الاختيارية لا تصدر من الإنسان إلا بقصد وإرادة، وقد أخبر الرسول –

(١) سورة البقرة، آية (٢٦٥) .
(٢) انظر : مقاصد المكلفين (١) النيات في العبادات، ص ٦١–٦٣، بتصرف .
(٣) انظر : المرجع السابق، ص٦٤، بتصرف .

ﷺ – أن : ((أصدق الأسماء حارث وهمام)) [1] لأنهما يصدقان على كل إنسان حي، فكل إنسان حارث أي كاسب عامل، وكل إنسان همام، يدائم الهم والإرادة لما يفعله [2].

وقد نص ابن الهمام على أن " الفعل الاختياري لابد في تحقيقه من القصد إليه، وعدَّ ابن تيمية " القصد إلى الفعل أمر ضورياً للنفس "[3] ولو كلف العباد أن يعملوا عملاً بغير نية كلفوا ما يستطيعون "[4].

ثانيا : عدم اعتبار الشارع للأفعال التي وقعت من غير قصد :

الأعمال الصادرة من المجنون والمعتوه والمخطئ والساهي والغافل، والنائم لا يعتد بها إن كانت طاعات ولا يعاقب عليها إن كانت معاصي، فالذي يسمع القرآن بغير قصد الاستماع لا يثاب على استماعه والسامع للمحرم من الكلام من غير قصد لا عقوبة عليه.

فمن أمل أو شرب ناسياً وهو صائم مقصدوه صحيح، ومن نام عن صلاة أو نسيتها فليصليها إذا ذكرها ولا تثريب عليه في تأخيرها لأنه معذور في ذلك والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة كثيرة منها :

١ – قوله تعال : ﴿ **لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا** ﴾ [5].

وعندما نزلت هذه الآية من آخر سورة البقرة دعا الصحابة بها " ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا " قال الله " نعم " أو " قد فعلت" [6].

---

(١) انظر سنن أبو داود، كتاب الأدب، باب تغيير الأسماء، ٣٩٤/٤ .
(٢) انظر : تهذيب السنن ٢٥١/٧ .
(٣) انظر : فتح القدير، لكمال بان الهمام .
(٤) انظر : مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ٣٥٩/٢ .
(٥) سورة البقرة، آية (٢٨٦) .
(٦) رواه مسلم في صحيحه، وأحمد في مسنده، انظر ابن كثير، ٦٠٠/١ .

٢ – وقد نص الرسول – ﷺ – على عدم مؤاخذة من ليس له قصد، فعن ابن عباس قال : قال رسول الله – ﷺ – ((إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه)) (١).

٣ – وأخبر الرسول – ﷺ – أنه ((رفع القلم عن النائم حتى يستيقظ، وعن المبتلى حتى يبرأ، وعن الصبي حتى يكبر)) (٢).

٤ – حديث أنس بن مالك يرفعه إلى رسول الله – ﷺ – ((لله أشد فرحاً بتوبة عبده، حين يتوب إليه، من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه، فأيس منه، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، وقد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ بطعامها، ثم قال من شدة الفرح، اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح)) (٣). فلو أن هذا الواجد لناقته قاصداً لقولته هذه لكان كافراً، كفراً مخرجاً من الملة، ولكن لما سبق لسانه إلى خلاف ما يقصده لشدة فرحه لم يؤاخذه الله بقولته.

٥ – والناطق بكلمة الكفر مكرهاً، وقلبه مطمئن بالإيمان، لا يؤاخذه الله : ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ (٤).

ثالثاً : أولاً : النية سر العبودية وروحها :

يقول ابن حزم(٥) في هذا : " النية هي سر العبودية وروحها، ومحلها من العمل محل الروح من الجسد، ومحال أن يعتبر في العبودية عمل لا روح له معه، بل هو بمنزلة الجسد الخراب.

---

(١) انظر : الأشباه والنظائر ١٨٧، وانظر : الألباني في صحيح الجامع ١٣٢/٢ .
(٢) انظر : تخريج الحديث السابق .
(٣) رواه مسلم في صحيحه، انظر: رياض الصالحين، ص١٣-١٤ .
(٤) سورة النحل، آية (١٠٦) .
(٥) انظر : أحكام الأحكام، لابن حزم، ٧٠٦/٢-٧٠٧ .

والحق الذي يشهد له الكتاب والسنة أن المأمور بالتكاليف الشرعية هو النفس الإنسانية، وما الجسد إلا آلة لها، فإذا كانت فاقدة للعمل الذي أمرت به – وهو الإخلاص والنية –كان العمل الذي يقوم به البدن ضرباً من العبث والضلال.

المبحث الثالث
المقاصد الشرعية من العبادات البدنية (الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج)

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : **مقاصد الصلاة** :

المطلب الثاني : **مقاصد الزكاة**.

المطلب الثالث: **مقاصد الصيام**.

المطلب الرابع : **مقاصد الحج**.

المطلب الأول : **مقاصد الصلاة** :

أولاً : الصلاة في اللغة : الدعاء.

وفي اصطلاح الفقهاء " أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير والمقرون بالنية، ومختتمة بالتسليم بشرائط مخصوصة " [(١)]. والصلاة صلة بين العبد وربه. صلة المخلوق الضعيف المحب لله الخالق القوي الرحيم، وهي عبادة جامعة فيها التأمل والتفكير، وفيها الدعاء، والمناجاة، وفيها الخضوع والتذلل لله رب العالمين، ومالك يوم الدين.

والصلاة عبادة تحقق دوام ذكر الله، والاتصال به – سبحانه – عن قرب، وهي مصداق الإيمان ودليل الطاعة شرط الانتساب إلى الإسلام، والصفة اللازمة للمؤمنين، والعبادة العملية الأولى في الدين، والصلاة عماد الدين، وشرط الإيمان والنجاة، وهي عبادة لا تسقط عن الإنسان مهما كانت الأعذار وعلى المسلم أن يصليها حتى في حالتي المرض والقتال، والمسلم المصلي يبرهن بالقول وبالفعل على سلامة دينه وإيمانه وانتمائه إلى حظيرة الإسلام [(٢)].

قال رسول الله ﷺ : ((لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا صلاة لمن لا طهور له، ولا دين لمكن لا صلاة له، إنما موضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد)). والصلاة ملجأ المسلم ومعقله.

كان رسول الله ﷺ إذا ضربه أمر فزع إلى الصلاة، وهو القائل : ((وجعلت قرة عيني في الصلاة))، وكان إذا أهمه أمر قال ((يا بلال أقم الصلاة أرحانا بها)) [(٣)].

---

(١) حاشية الروض المربع شرح زاد المستنقع، لعبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، ج١/٤١٠-٤١١

(٢) الصلاة فقهها وأسرارها، لمحي الدين، ص٢٣، ٢٤، بتصرف .

(٣) ينظر : المرجع السابق .

ثانياً : مقاصد الصلاة :

١ – تحقيق مبدأ الامتثال والانقياد في نفس المصلي وتعويده على الطاعة والتعبد والانتظام في منهج التكليف والاستخلاف [١]:

فهي تتيح للمرء أن يسأل به كل ما يريد فينبغي بذلك من مشاعره كما تغرس في الإنسان عقيدة الطاعة. تغرس عقيدة الطاعة لله ولو كانت تتعارض مع رغباته الشخصية، وتثبت فيه عدم اليأس وتدعوه إلى التماس العون من الله، فالإنسان الذي يعتمد على الله يملك من القوة النفسية ما يواجه بها أعظم المشاكل، فالاتصال الروحي للإنسان فمخالفة من ضروريات الإنسان لذلك أمر القرآن بالصلاة في قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [٢].

فالمصلي يشعر برهبة المثول بين يدي الحضرة الإلهية حتى مرات في اليوم والليلة فيرسخ الإيمان بالله في قلبه وحسه وشعوره، ووجدانه وتفكيره، ونظرته إلى العالم المادي فيصبح إيمانه قوة فعَّالة في حياته [٣].

وإن الصلاة تهذب الروح بما علق بها وأثره فيها من مغريات الحياة ومادتها أن الإنسان جسم وروح وعقل ولكل من الجسم والروح والعقل متطلباته وغذاؤه، وبالروح يرتفع الإنسان إلى مصاف الملائكة، وبالجسم وحده يهبط إلى مستوى الحيوان الأعجم، وبالعقل وحده يتيه [٤].

كما أن المسلم يظهر في صلاته وعبوديته لله والذل والخضوع

(١) علم المقاصد الشرعية للدكتور الخادمي، ص١٧١.
(٢) سورة النساء، الآية (١٠٣) .
(٣) ينظر : فلسفة العبادات في الإسلام، للدكتور / عبد الفتاح محمود العيسوي، ص١٦ .
(٤) ينظر : الصلاة فقهها وأسرارها، لمحي الدين، ص٣٠-٣١ .

والضراعة والخشوع له سبحانه وتعظيمه له بالفعل والقول، وهو يفعل ذلك في خضوع مشرب بالحب والرضى، والفرحة والسرور، ويحيي وهو قريب من ربه أنه حر وعزيز إنه حر بعد أن حرره الإسلام من شهوات نفسه وحرره من الخضوع لغير الله.

فالصلاة عبادة شاملة لكل وجوه التعبد قاعدتها نية وشعور ينطوي على كل أنواع الخاكر وأقوال تعبر عن جميع المعاني اللائقة بخطاب العبد لربه وأوضاع فعلية تشترك فيها كل الجوارح [(١)].

والصلاة الخاشعة مقالات خالصة يلهج بها الإنسان تصديقاً لما يقوم بالفؤاد من التوجه إلى الله العظيم والثناء والطاعة والولاء وأوضاع بدنية يتواضع بها الإنسان ويستكين لربه، ويعود المصلي إلى ذلك الذكر وتلك الأوضاع مثنى وثلاث ورباع في الصلاة الواحدة فإذا تعاقبت الصلوات فرضاً ونفلاً طوال يوم المسلم أورثه ذلك مهابة الله ما يحمله على الامتثال لأوامر والتزام طاعته في كل مجال [(٢)].

٢ – إصلاح النفس وتهذيبها، وتخليصها من الفواحش والمنكرات والهواجس والأوهام[(٣)].

قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [(٤)].

فالصلاة التي يؤديها المسلم بصدق وإخلاص وخشوع، ويعاهد الله على الاستقامة والتقوى وفعل الخير وترك الشر.

والسر في أن هذه الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر أنه بها

(١) ينظر : الصلاة عماد الدين، للدكتور / حسن الترابي، ص٨٣-٨٥ .
(٢) ينظر : الصلاة عماد الدين، للترابي، ص٨٠٩ .
(٣) ينظر : علم المقاصد الشرعية للخادمي .
(٤) سورة العنكبوت، الآية (٤٥) .

أعلن خضوعه لله فإذا عصاه يكون قد ناقض نفسه، وروى قوله عليه الصلاة والسلام ((من لم تنهه صلاة لم يزدد من الله إلا بعداً)) قال تعالى : ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ [(١)]. وقال رسول الله ﷺ : ((الصلاة نور)) [(٢)]، وأن الصلاة لتحلي المرء وتجمله بمكارم الأخلاق كالصبر وتحمل البلاء وتبث في الإنسان الشجاعة والكرم والجود وتوطن نفسه على الثبات وقوة الجأش وذلك لاستنادها على ركن متين ألا وهو خالق البشر ورازقهم [(٣)].

٣ – انشراح الصدر وطمأنينة القلب وإراحة البال :

ولذلك قال الرسول ﷺ لبلال : ((أرحنا بها يا بلال)) :ما شرعت الطهارة والصلاة، للغضبان والمصاب والمكروب وغيرهم في تعصم صاحبها من الهوى فينتظم بها في موكب اللذين أنعم البله عليهم [(٤)].

٤ – تقوى ومزدجر عند المعاصي :

فالصلاة تذكر بالله غافر الذنب قابل التوب شديد العقاب ويتلى فيها القرآن فيرد فيه ذكر العذاب الله فيستعيد القارئ المتدبر وبيان لمحارم الله ومكارهه فيعزم المصلي الخاشع ألا يقع فيها حذراً من حساب الله وسخطه وعقوبته وأملاً في مرضاته ومعافاته، ويستذكر المصلي فتنة الله وعذابه فيلوذ به في بعض دعائه: ((اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا

(١) سورة البقرة، الآية (٤٥) .
(٢) رواه مسلم من حديث الطهور، شطر انظر الإيمان .
(٣) ينظر : فلسفة العبادات في الإسلام، للعيسوي، ص١٧ .
(٤) ينظر : علم المقاصد الشرعية للخادمي، ص١٧١ .

والممات، ومن شر فتنة المسيخ الدجال)) [1].

٥ – مراعاة الدقة والنظام :

والصلاة تعلم الإنسان الدقة والنظام وهو يخوض معترك الحياة فتعلمه الدقة في الحرص على الوقت والاستقامة منه، وتمنعه من الغفلة والشرود، والوقت أغلى ما يملك الإنسان في هذه الحياة، وتعلمه النظام في أداء الفروض في أوقاتها وفي المحافظة على الصلاة جماعة، ورص الصفوف فيها وتسويتها، وإذا تعلم الإنسان الدقة والنظام، أصبح جديراً بتحمل المسؤولية الملقاة على عاتقه في رعاية نفسه ورعاية مجتمعه.

٦ – تكفير الخطايا :

إذا كان المسلم يقع في المعاصي، فإن الصلاة تقربه له تتوالى طول اليوم، فتتعاقب على خطاياه فتمحوها كلما تراكمت بين فترات الصلاة، وهذا التعاقب بعلم المسلم أن يجدد التوبة دائماً قبل أن تحيط به الخطيئة قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [2]، قال رسول الله ﷺ : ((الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهم إذا اجتنبت الكبائر)) رواه الترمذي ومسلم.

٧ – تمييز المسلم :

والصلاة مظهر إيجابي دائم يبرز به المسلم من دون الناس، فيزيد ذلك من إحساسه بالتمييز والاستقلال وهي إعلان صريح عن عقيدته لمن أراد أن يسأله عن دينه وفي عهد النبوة الأول كانت الصلاة عنوان الإسلام ومحط أنظار الذين يراقبون مظاهر الدين الجديد وفي أيمنا هذه تظهر أهمية ذلك عندما يقترب المسلم عن مجتمعه، فما يكاد يقوم في مشهد من الناس يؤدي الصلاة

(١) ينظر الصلاة عماد الدين للترابي، ص١٠٣ .
(٢) سورة هود، الآية (١١٤) .

حتى يطلع عليه من جمهرة الناس إخوان له مسلمون يشدون على يديه بتحية الإسلام، ويوثقون معه عُرى التعارف، أو يقبل عليه من غيرهم من يستوضحه معنى الصلاة وحقيقة الإسلام [1].

٨ – ترسيخ العقيدة الإيمانية :

إن الصلاة تحبب المسلم الإيمان، وتزيده وتزينه في قلبه، وتكره إليه الكفر والفسوق والعصيان وتصل به إذا أقامها وأتمها إلى الإحسان الذي سئل عنه رسول الله ﷺ فقال : ((الإحسان أن تبعد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك))، وإن المسلم ليزداد بصلاته ثباتاً واستقراراً، فلا تتزعزع عقيدته ولا تفتر عزيمته، وذلك لأنه موصول بحبل الله المتين، بينما نجد تارك الصلاة، ضعيف الرأي، فارغ القلب، مشوش الفكر، ومن السمك أن يتأثر وينحرف، ويتبع كل ناعق وفاجر [2].

٩ – عون على الصبر والمجاهدة :

من مقاصد الصلاة توطيد الإيمان بالله وتنمية الخوف والرجاء والشكر وربط الصلة بالقرآن الكريم وبالرسول ﷺ وإذا قويد أصول العقيدة في نفس المسلم فإنها تدفع للعمل الصالح والجهاد والصبر فالعبد قد تحمله مخافة الله على أداء الفروض الأساسية التي يأثم بتطبيقها، ولكن النهضة إلى فضائل الأعمال وعظائم المجاهدات، إنما تنبعث من أسباب شدة حب الله والرغبة في شكره ومرضاته ورجاء فضله العظيم فالمسلم إذا كان دائم القيام والسجود، لسانه رطب بتمجيد الله، وذهنه حاضر بذكر الله، وبدنه خاضع بالخشوع له، كان موصولاً بربه وأعقبه ذلك القرب محبة لله ورغبة في مزيد القربات، فتهون عليه المشاق في

(١) ينظر : المرجع السابق، ص٣٢-٣٦ .
(٢) ينظر : المرجع السابق، ص٣٧-٣٨ .

سبيل الله، فيتحرك لكل عمل صالح ويسابق إلى كل فضيلة مما جعل الله زلفى وسبباً لمرضاته.

والعقد الذي يعرف أنعم الله عليه فيقوم لربه بالصلاة حامداً شاكراً يصبح من تعهده في حياته كلها أن يسعى ويجد له يؤدي بعض واجبات الشكر لتلك النعم التي لا يحصيها العد، ولا يغني بها اجتهاد البشر [1].

١٠ – تحقيق الآثار الاجتماعية والإنسانية وتنميتها :

على نحو الأخوة والتضامن والتواضع والمواساة ونفي الفرقة والتمييز والتفرقة بسبب الجنس أو اللون أو الغنى أو الفقر أو الجاه أو المحسوبية أو ما شابه ذلك، فالكل موقفون مصطفون في مكان واحد بين يدي الله الواحد الأحد الفرد الصمد.

وتحث على التعاون قال الله تعالى : ﴿ **وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ** ﴾[2]، ويظهر أثر التعاون في ص٣لاة الجمعية والمجاعة، حيث يتفقد المسلمون بعضهم بعضاً، ويسارعون إلى عيادة المريض ومساعدة المحتاج، كما كان يفعل رسول الله ﷺ في تفقده لأصحابه وسؤاله عنهم.

ويقف الناس جميعاً في الصلاة صفوفاً متراصة لا فرق بين غني وفقير وكبير وصغير، وتظهر المساواة بين الناس واقعية وحقيقية في أجمل صورة عرفتها البشرية.

١١ – رياضة للجسم والعقل :

إن في حركات الجسم في الصلاة رياضة منتظمة تشمل الجسم كله، وتعود الإنسان انتصاب القامة وتليين المفاصل، وتقوية العضلات، وتنشيط الدورة الدموية بفعل الحركة، وفي تمثيل

(١) ينظر : المراجع السابقة .

(٢) سورة المائدة، الآية (٢) .

الجسم في الصلاة، حكمة تدعونا إلى التأمل، لقد اسكن الله روحنا في هذا الجسم، وأمرنا بطاعته وعبادته، وأباح لنا الطيبات من الرزق، لتوفر لأجسامنا القوة اللازمة للحياة ولتنفيذ طاعة الله ((والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف))، ومع ذلك فإن الرياضة للجسم وحدة ليست غاية الصلاة وإنما هي مقصد من مقاصد العظمة المتعددة، قال تعالى مبيناً نصيب الجسم في الصلاة : ﴿ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ (١).

وقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ (٢) والعقل ممثل في الصلاة وله دوره ومهمته، فالمصلي يجب أن ينقطع عن التفكير بمشاغل الحياة، وليس له من صلاته إلا ما يعقل فالصلاة تساعد على تنمية القدرة على التركيز والانتباه، وحصر الذهن وهو ما يسمى بالخشوع وباستمرار هذه العملية تصبح له أكبر معين في سائر الأعمال التي يزاولها(٣).

المطلب الثاني : مقاصد الزكاة :

أولاً : تعريف الزكاة في الفقه :

الزكاة في اللغة مشتركة بين الطهارة والنماء والبركة والمدح(٤).

قال تعالى : ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٥). وقال تعالى : ﴿

(١) سورة البقرة، الآية (٢٣٨) .
(٢) سورة الحج، الآية (٧٧) .
(٣) انظر : المراجع السابقة .
(٤) ينظر : حاشية الروض المربع شرح زاد المستنقع لعبد الرحمن النجدي ج١٦٤/٣ .
(٥) سورة التوبة، الآية (١٠٣) .

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ [1]. أي طهرها من الآثام وفي معنى النماء والبركة جاء قوله تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾ [2].

الزكاة في الشرع :

حق واجب في مال مخصوص لطائفة مخصوصة في وقت مخصوص لتحقيق رضا الله وتزكية النفس والمال والمجتمع[3]. وهذا التعريف يتضمن المقومات الأساسية للزكاة وهي :

١ – تعتبر الزكاة نقل ملكية وليست منة أو فضلاً أو هبة من صاحب المال لمستحقها[4].

٢ – تتمثل الزكاة في جزء معين معلوم من الأموال يحدد وفقاً لقواعد معينة يؤيد ذلك قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾ [5].

٣ – هناك شروط معينة لابد من تحقيقها لتجب الزكاة في المال فليس كل مال تجب فيه الزكاة.

٤ – اشتراط النصاب في المال لوجوب الزكاة فيه تحقيقاً للعدالة الاجتماعية، ولتقريب الفوارق بين الطبقات ولضمان حد أدنى للكفاف.

٥ – توجه حصيلة الزكاة إلى مصارف معينة محددة وفقاً لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ

(١) سورة الشمس، الآية (٩) .
(٢) سورة الروم، الآية (٣٩) .
(٣) ينظر : حاشية الروض المربع شرح زاد المستنقع لعبد الرحمن النجدي ج٣/١٦٤ .
(٤) ينظر : كتاب الزكاة، للدكتور / عبد الله بن محمد الطيار، ص١٥-١٦ .
(٥) سورة المعارج، الآية (٢٤-٢٥) .

﴿ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١).

٦ – تهدف الزكاة إلى تحقيق العديد من الأغراض الخلقية والاجتماعية والاقتصادية.

بهذا الغرض يتضح أن هناك مناسبة قوية بين المعنى اللغوي للزكاة والمعنى الشرعي، ذلك أن معنى الزكاة في اللغة وهي الطهارة والنماء والمدح ؛ لأنها تطهر مؤديها من الذنوب ومن صفة البخل والمال بإنفاق بعضه وتنحية بالخلف(٢) قال تعالى : ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (٣). ويمدح الدافع ويثني عليه بالجميل قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾ (٤).

ثانيا : مقاصد الزكاة :

١ – تحقيق مبدأ الامتثال والانقياد لله تعالى وتقرير شكره وحمده والثناء (٥)**.**، فهي عبادة مالية فيها استجابة لأمر الله ووفاء لعمدة يرجو عليها فاعلها حسن الجزاء في الآخرة ونماء المال في الحياة الدنيا بالبركة.

٢ – تطهير نفس المزكي من الشح والأنانية، ومن عبادة المال وتقديسه، فهي طهارة من البخل والشح والطمع، والأنانية والحقد، وتعتبر علاجاً شافياً من ذلك.

يقدر غريزة حب المال وحب الذات ويقرر أن الشح حاضر في النفس الإنسانية لا يغيب قال تعالى : ﴿ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ

(١) سورة التوبة، الآية (٦٠) .
(٢) ينظر كتاب الزكاة، للطيار، ص١٨ .
(٣) سورة سبأ، الآية (٣٩) .
(٤) سورة المؤمنون، الآية (٤) .
(٥) ينظر : علم المقاصد للدكتور الخادمي، ص٧٢ .

﴿ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [1]. فيعالج هذا كله علاجاً نفسياً بالترغيب والتحذير والحض والتقوية حتى يتم له ما يريد فيطلب إلى هذه النفس الشحيحة أن تجود بما هو حبيب إليها عزيز عليها. قال تعالى : ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ [2].

فتستجيب إليه وتلتمس الطيب تجود به وبذلك يصل إلى غاية البذل وأصعب الجود أكرم العطاء النابع من أعماق الشعور ويتغلب جانب الوجدان على جانب الغريزة [3].

٣ – **تثبيت أصلية الإنفاق والعطاء والبذل في نفس المزكي.** فالزكاة تحقق النماء والزيادة لشخصية المزكي وكيانه المعنوي فالإنسان الذي يسدي الخير ويصنع المعروف ويبذل من ذات نفسه ويده ينهض بإخوانه المسلمين، ويقوم بحق الله عليه يشعر باقتدار في نفسه وانشراح واتساع في صورة وتحس بالنصر المؤزر على ضعفه وأثرته وشيطان شبحه وهواه [4].

٤ – **تطهير المال من الآفات والنقصان والتلف والتآكل** وقد جاء في كثير من الأدلة أن الزكاة والصدقات تزيد المال كماً وبركة وتنميه وتبعد عنه الآفات والكوارث والجوارح [5]. قال تعالى:﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [6]، وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن

(١) سورة النساء، الآية (١٢٨) .
(٢) سورة آل عمران، الآية (٩٢) .
(٣) ينظر : الزكاة، للطيار، ص٣١-٣٢ .
(٤) ينظر : علم المقاصد للخادمي ص١٧٢، وينظر الزكاة للطيار، ص٣٥ .
(٥) ينظر : المراجع السابقة .
(٦) سورة التوبة، الآية (١٠٣) .

شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ (١)، وقوله سبحانه: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢)، وقوله جل جلاله: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾ (٣).

ثم أن المزكي يلحق به وبأهله وذريته وذويه بركات وآثار ودعاء الناس، وثناء الفقراء وشهادة الملائكة، وجزاء الخالق الكريم في العاجل والآجل، مما يكون سبباً في زيادة الأموال، ونمائها وبركتها وسلامتها من النقصان والتلف.

فالزكاة تطهير للمال ذلك أن تعلق حقوق الفقراء في المال يجعله ملوثاً لا يطهر إلا بإخراج هذه الحقوق، يقول الدكتور يوسف القرضاوي(٤) : " بل إن مال الأمة كلها يهدد بالنقص وعروض الآفات السماوية التي تضر بالإنتاج العام وتهبط بالدخل القومي وما ذلك إلا أثر من سخط الله تعالى ونقمته على قوم لم يتكافلوا ولم يتعاونوا ولم يحمل قويهم ضعيفهم وفي الحديث ((لم يمنعوا زكاة أموالهم إلا فقدوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا)) (٥).

إن تطهير مال الفرد والجماعة من أسباب النقص والمحق لا يكون إلا بأداء حق الله وحق الفقير للزكاة.

٥ – تحقيق أواصر التضامن والتآلف والتراحم والتواد مما يكون له

(١) سورة سبأ، الآية (٣٩) .
(٢) سورة البقرة، الآية (٢٦٨) .
(٣) سورة الروم، الآية (٣٩) .
(٤) ينظر : فقه الزكاة للقرضاوي، ج٢ / ص٨٦٨ .
(٥) رواه ابن ماجة والحاكم وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، قال الألباني هو حسن الإسناد، ينظر سلسلة الأحاديث الصحيحة، الحديث رقم (١٠٦) .

كبير الأثر على مستوى وحده المجتمع وقوله ومنفعته، وسلامته من الأحقاد والضغائن والتحاسد والتباغض فهي تنمي الروح الاجتماعية بين الأفراد حيث يشعر المسلم الدافع للزكاة بعضويته الكاملة في الجامعة فهو يشترك في واجباتها وينهض بأعبائها فيتحول المجتمع إلى أسرة واحدة يسودها التعاون والتكامل والتواد تحقيقاً وتجسيداً لقول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه : ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)) [(١)]، والزكاة تعبير عملي عن أخوة الإسلام وتطبيق واقعي لأخلاق المسلم من جانب المزكي وهي أيضاً تجعل الفقير يعيش في المجتمع المسلم خالية نفسه من أي حقد أو حسد ذلك لأن حقه محفوظ في مال الغني فتجده يحبه ويدعو له بالبركة وكثرة المال يقول ﷺ ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً)) [(٢)].

٦ – **الزكاة تكفر الخطايا وتدفع البلاء:** فالزكاة فداء العبد وتجلب رحمة الله قال تعالى: ﴿ **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ** ﴾ [(٣)].

وها هي المجتمعات المادية يعيش حالة من الفوضى والضياع ينمو فيها الحقد وتزرع الضغينة ويكثر الوباء والبلاء جرائم ترتكب وسرقات ونصب واحتيال وبهذه المجتمعات وحدها تنمو الرذيلة وتقتل الفضيلة وتنشأ العقد النفسية[(٤)] ويكثر الجنون أما في مجتمع الإسلام مجتمع الزكاة فمحبة الله وطاعة وإنابة تأتي بالرحمة والخير

(١) ينظر: صحيح البخاري، ج٨ / ص١١، وصحيح مسلم، ج٨ / ص٢٠ .
(٢) ينظر : صحيح البخاري، ج٨ / ص١١، وصحيح مسلم، ح٨، ص٢٠ .
(٣) سورة الأعراف، الآية (١٥٦) .
(٤) ينظر : الزكاة للطيار، ص٣٤ .

والسعادة والأخوة.

٧ – **الزكاة مصدر قوي لإشاعة الطمأنينة والهدوء** : تعتبر الزكاة ضماناً اجتماعياً للعاجزين ووقاية للجماعة من التفكك والانحلال وهي مؤسسة عامة للتأمين التعاوني المنشود إذ هي وسيلة من وسائل القضاء على الفقر والعوز والجوع والمرض، للفقير في أموال الزكاة ما يجعله شجاعاً عزيزاً يواجه المستقبل بنفس راضية مطمئنة، فلا قلق ولا هم ولا حزن، والغني يلا يبقى رهين الخوف من الإفلاس والفقراء لأن لله أرشده إلى وسائل تنمية المال ولو عدت عليه العوادي وانقلبت الموازنين وأصبح فقيراً بعد الغنى فإن له حقاً في مال إخوانه الأغنياء يستطيه به أن يعيد ثروته بعد الكفاح والجد والمثابرة.

٨ – **إعانة الضعفاء وكفاية أصحاب الحاجة** : المسلم عندما يدفع زكاة ماله يشعر بمسئوليته عن مجتمعه وعن تكامله مع المحتاجين فيه وتغمره السعادة عندما يؤدي الأمانة ويأخذ بيد أخيه المقدم ويرتفع به من ويلات مصيبة حلت[1] به فأفقرته وهو يستشعر في هذا كله قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴾[2].

٩ – **الزكاة امتحان من الله لعباده** : يعتبر أداء الزكاة امتحاناً لإيمان الفرد بالله ذلك أن المال محبوب لكل الناس ودليل الإيمان الصادق مفارقة المحبوب والجود به " وشرط تمام الوقار بالتوحيد أن لا يبقى للموحد محبوب سوى الواحد الفرد فإن المحبة لا تقبل الشركة والتوحيد باللسان قليل الجدوى، وإنما يمتحن به درجة الحب بمفارقة المحبوب والأموال محبوبة عند الخلائق ؛ لأنها آلة تمتعهم بالدنيا وبسببها يأنسون بهذا العالم وينفرون عن الموت مع أن فيه لقاء

(١) ينظر : الزكاة للطيار، ص٣٢-٣٤ .
(٢) سورة المعارج، الآية (٢٤-٢٥) .

المحبوب فامتحنوا بتصديق دعواهم في المحبوب واستنذلوا عن المال الذي هو مرموقهم " [1].

١٠ – **تنمية المجتمع وتطويره تجارته وصناعته وحرفه**، وتقوية اقتصادياته ومعاملاته بترويج المال وعدم كنزه وادخاره، ويسد حاجاته الفقراء والمساكين وتخليص أصحاب الديون والأسرى والمحبوسين (الغارمين، وفي الرقاب) لكي ينطلقوا في الأرض عملاً وإنتاجاً، وإبداعاً، وكل ذلك له في علم الاقتصاد دوره في تقوية التنمية والاقتصاد والنماء الحضاري بشكل عام ؛ لأن الزكاة تحث على العمل والجد والمثابرة فيعتبر نقل ملكيته جزء من المال عن طريق الزكاة من الأغنياء إلى الفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم والغرمين وغير حثاً لهم على العمل والجد والمثابرة والولاء للمجتمع وبذلك تزيد كفايتهم الإنتاجية ويكون مردود ذلك كله على المجتمع الذي يقوى ويتماسك [2].

المطلب الثالث مقاصد الصيام :

أولاً : تعريف الصيام لغة واصطلاحاً وحكمه :

لغة : مجرد الإمساك يقال للساكت : صائم لإمساكه عن الكلام.

ومنه : ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا ﴾ [3].

وفي الشرع : إمساك بنية (*) عن أشياء مخصوصة(*) في زمن(*)

(١) ينظر : موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، لجمال الدين القاسمي، ج١، ص٤٧ .
(٢) ينظر : علم المقاصد الشرعية للخادمي، ص١٨٣، وينظر : الزكاة للطيار، ص٣٧ .
(٣) سورة مريم، الآية (٢٦) .
(*) فلا يجزي بدون النية اجماعاً وكذا سائر العبادات .
(*) هي مفسدات الصوم من أكل، وشرب وجماد وغيرها، مما حدد به الشرع، ويتبع ذلك الإمساك عن الرفث والفسوق.
(*)وهو من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس .

معين من شخص مخصوص(*)[1].

ويجب صوم رمان برؤية هلاله لقوله تعالى : ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ ﴾ [2]، ولقوله عليه الصلاة والسلام ((صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته)) [3].

ثانيا : مقاصد الصيام :

١ – تحقيق مبدأ الامتثال والانقياد إلى الله تعالى[4] قال جل جلاله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٤ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [5]. ليس هذه الآيات التي تضمنت وجوب الصوم تشريعاً جامعاً مجرداً كالقوانين، والمراسيم العادية، التي لا يعتمد إلا على الرابطة السياسية أو الاجتماعية، التي تقوم بين الفرد والحكومة، إن هذه الآيات تخاطب الإيمان

(*) وهو المسلم البالغ العاقل، القادر، المقيم غير الحائض والنفساء فلا يتحتم فعله مع قيام العذر، بل يجب القضاء مع زوال العذر .

(١) حاشية الروض المربع شرح زاد المستنقع، لعبد الرحمن المجدي، ج٣ / ٣٤٥-٣٤٦ .

(٢) سورة البقرة، الآية (١٨٥) .

(٣) ينظر : علم المقاصد الشرعية للخادمي .

(٤)

(٥) سورة البقرة، الآيات (١٨٣-١٨٥) .

والعقيدة، والعقل والضمير والقلب والعاطفة في وقت واحد، وتثير كل ذلك وتغذيه وهكذا تهيئ الجو لقبول هذا التشريع وإساغته بل للترحيب به واستقباله بنشاط وحماس، إنها آية في الإعجاز[١]، وفي فقه الدعوة، وعلم النفس والتشريع الحكيم ﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [٢]. خاطب الله المكلفين بهذا التشريع بقوله : { يا أيها الذين آمنوا } وهكذا هيأ المخاطبين لقبول ما يكلفون به ويطلب منهم مهما كان شاقاً وعسيراً ؛ لأن صفة الإيمان تقتضي ذلك، وتوجبه، فمن آمن بالله، كإله ورب وسيد ومطلع وصاحب الأمر والنهي وخضع له بقلبه وقالبه، واستسلم له وأحبه من أعماق نفسه، كان جدير بإجابة كل ما يصدر عنه من أمر، وكل ما يوجبه إليه من طلب : ﴿ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ [٣]. ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [٤]. وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [٥]. والشريعة كلها بما فيها من فرائض وعبادات وأحكام – حياة للنفوس [٦].

٢ – تحقيق التقوى، والوقاية من كل العيوب والأمراض الجسدية والنفسية والاجتماعية:

فقوله تعالى في الآية السابقة ذكرها ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ أي تتخذوا من الصيام وقاية تحول بينكم وبين الميول المرزولة، ومعنى

(١) ينظر : الأركان الأربعة لأبو الحسن علي الحسني الندوي، ص١٩٠-١٩٣ .
(٢) سورة السجدة، الآية : (٤٣) .
(٣) سورة النور، الآية (٥١) .
(٤) سورة الأحزاب، الآية (٣٦) .
(٥) سورة الأنفال، الآية (٣٤) .
(٦) ينظر : الأركان الأربعة، للندوي، ص١٩٤ .

(لعل) إعداد وتهيئة لنفوس الصائمين لتقوى الله ؛ لأن تقوى تظهر من وجوه كثيرة أعظمها شأناً أن أمر الصيام موكول إلى نفس الصائم الذي يترك الشهوات امتثالاً لأمر الله ويروض نفسه على الصبر. ومواجهة أعباء الحياة ومشاقها، وآلامها وبتكرار ذلك شهراً كاملاً تنمو فيه القدرة على مزيد من ترك الملذات وتقوي لديه الإرادة ويضعف سلطان العادة، إنه وسيلة فعَّالة لتحقيق سلطان الروح على الجسد(١)، وقد أشار إلى ذلك حجة الإسلام الغزالي في أسلوبه الخاص فقال : " المقصود من الصوم، التخلق بخلق من أخلاق الله عز وجل وهو الصمدية، والاقتداء بالملائكة في الكف عن الشهوات بحسب الإمكان، فأيهم منزهون عن الشهوات، والإنسان رتبته فوق رتبة البهائم لقدرته بنور العقل على كسر شهوته، ودون رتبة الملائكة لاستيلاء الشهوات عليه، وكونه مبتلى بمجاهدتها فكلما انهمك في الشهوات انحط إلى أسفل السافلين والتحق بغمار البهائم، وكلما قمع الشهوات ارتفع إلى أعلى عليين والتحق بأفق الملائكة ".

٣ – سد منافذ الشيطان وتضيقها، مما يكون له الأثر في إزالة المعاصي والمنكرات، وتنقيصها وتقليلها (٢):

وقد شرح ابن القيم (٣)ببلاغته أسرار الصوم ومقاصده فيقول : " وللصوم تأثير عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة، والقوى الباطنة وصمتها عن التخليط الجالب لها المواد الفاسدة التي إذا استولت عليها أفسدتها، واستفراغ المواد الرديئة المانعة له من صحتها، فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها ويعيد إليها ما استلبته

(١) ينظر : فلسفة العبادات في الإسلام للعيسوي، ص١٧ .
(٢) ينظر : علم المقاصد الشرعية للخادمي ص١٧٣ .
(٣) ينظر : الأركان الأربعة، للندوي، ص١٧٠

منها أيدي الشهوات فهو من أكبر العون على التقوى، كما قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[1]. وقال النبي ﷺ: ((الصيام جنة)) وأمر من اشتدت عليه شهوة النكاح – ولا يقدر عليه – بالصيام، وجعله وجاء لقوله عليه الصلاة والسلام : ((يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء))[2].

فإن الجوع والظمأ يكسران شهوة المعاصي[3]، والمقصود أن مصالح الصوم لما كانت مشهودة بالعقول السليمة، والفطر المستقيمة وشرعه الله لعباده رحمة لهم وإحساناً إليهم، وحمية وجتة[4].

٤ – تذكر الفقراء والمحتاجين والمعوزين [5]:

فالصيام طريقة عملية لتربية العطف والرحمة والبر والإحسان في النفس كما فيه شعور بالمساواة بين البشر [6].

وليس الصوم الإسلامي مجموعة من أمور سلبية فقط، فلا أكل ولا شرب، ولا غيبة ولا نميمة، ولا رفث ولا فسوق ولا جدال بل هو مجموع أمور إيجابية كذكر فهو زمن العبادة والتلاوة والذكر

(١) سورة البقرة، الآية (١٨٣) .
(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣٧٨/١، والبخاري (١٩٠٥م) في الصوم : باب خاف على نفسه الغربة، ومسلم (١٤٠٠) في أول : النكاح، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .
(٣) ينظر : مقاصد الصوم، للعز بن عبد السلام، ص١٥ .
(٤) ينظر : زاد المعاد لابن القيم ١٥٢/١ .
(٥) ينظر : علم المقاصد الشريعة للخادمي، ص١٧٣ .
(٦) ينظر : فلسفة العبادات في الإسلام للعيسوي، ص١٧ .

والتسبيح[١] والبر والمواساة، وقد قال النبي ﷺ: ((من تقرب فيه بخصلة من الخير، كان كمن أدى فريضة فيما سواه ومن أدى فريضة فيه، كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة)) [٢]. وعن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ((من فطَّر صائماً له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء)) [٣].

٥ – **كذلك هموم الآخرة** وأهوالها بسبب العطش الشديد والجوع الشديد في أرض المحشر، وفي نار جهنم، والعياذ بالله [٤].

٦ – **التماس ليلة القدر** :

جليلة القدر شريفة، فضَّلها الله على ألف شهر ليس فيها ليلة القدر وسميت ليلة القدر إما لشرف قدرها وعلو منزلتها، وإما لأن الأرزاق والآجال من السنة إلى السنة تقدر في تلك الليلة.

وتنزل الملائكة والروح في تلك الليلة، وأن ليلة يأتي فيها العبد، فيها تسليم رب العالمين عليه لجديرة أن تكون خيراً من ألف شهر، بأن يلتمسها الملتمسون ويطلبها الطالبون، ولذلك التمسها رسول الله ﷺ مع صحبه، والصالحون من بعده. فمن فضيلة هذه الليلة أن من قامها إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه [٥].

وصح عنه ﷺ أنه قال : ((من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)) [٦].

---

(١) ينظر : الأركان الأربعة للندوي، ص٢٠٣ .
(٢) رواه البيهقي في " شعب الإيمان " عن سلمان الفارسي رضي الله عنه (حديث طويل) .
(٣) رواه الترمذي .
(٤) ينظر : علم المقاصد الشرعية للخادمي، ص١٧٣ .
(٥) ينظر : مقاصد الصوم للعز بن عبد السلام، ٢٨–٣٠ (بتصرف) .
(٦) أخرجه البخاري (١٩٠١) في الصيام : باب من صام رمضان إيماناً واحتساباً وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه .

٧ – الاعتكاف والسجود وقراءة القرآن في رمضان :

قال تعالى : ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ (١). وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ ﴾ (٢)، والاعتكاف زيارة في بيت من بيوته، والانقطاع إليه فيه، وحق المزور أن يكرم زائره.

وجاء في الحديث الصحيح عنه ﷺ، أنه قال : ((من غدا إلى المسجد أوراح، أعد الله له نزلاً في الجنة، كلما غدا أو راح)) و " النزل" الضيافة والمستحب أن يعتكف العشر الأواخر من رمضان لطلب ليلة القدر ؛ لأنه آخر ما استقر عليه اعتكاف رسول الله ﷺ، قالت عائشة رضي الله عنها : أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توافه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده (٣).

ويستحب الإكثار من تلاوة القرآن، ومن السجود والإفضال في هذا الشهر للمعكتف وغيره ؛ لأن الفقير يعجز بسبب صومه عن الشهوات والتطواف والسؤال وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه عليه السلام كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه النبي ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل كان أجود من الريح المرسلة (٤)، ومعنى قوله "

(١) سورة الحج، الآية (٢٦).
(٢) سورة البقرة، الآية (١٨٧).
(٣) أخرجه البخاري (٢٠٢٦) ومسلم (١١٧٢) كلاهما في أول الاعتكاف .
(٤) أخرجه البخاري (١٩٠٢م) في الصوم . باب أجود ما كان النبي ﷺ يكون في رمضان، ومسلم (٢٣٠٨) في الفضائل : باب كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير من الريح المرسلة .

الريح المرسلة " أي في عمومها وإسراعها.

٨ – إتباع رمضان بست من شوال [١]:

صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : ((من صام رمضان ثم أتبعه بست من شوال كان كصيام الدهر)) [٢]. وإنما كان كصيام الدهر، لأن الحسنة بعشرة أمثالها فيقال كل يوم بعشرة أيام.

٩ – الصوم صحة الأذهان وسلامة الأبدان :

وقد جاء في الحديث : ((صوموا تصحوا)) [٣].

المطلب الرابع : مقاصد الحج :

أولاً : تعريف الحج لغة واصطلاحاً وحكمه :

لغة : القصد (*).

وشرعاً : قصد مكة لعمل [٤] مخصوص (*) في زمن مخصوص (*).

والحج أحد أركان الإسلام، ومبانيه العظام، ودعائمه الخمس، وقواعده قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ

(١) ينظر : مقاصد الصوم للعز بن عبد السلام، ص٣٤ .

(٢) أخرجه مسلم (١١٦٤) في الصيام : باب استحباب صوم ستة أيام من شوال اتباعاً لرمضان، وأبو داود (٢٤٣٣) في الصوم باب صوم ستة أيام من شوال، والترمذي (٧٥٩) في الصوم باب ما جاء في صيام ستة أيام من شوال عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه .

(٣) ينظر : مجموع الزوائد ١٧٩/٣ و ٣٢٤/٥ .

(*) أي إلى من تعظمه، أو أكثرة القصد إليه .

(٤) حاشية الروض المربع شرح زاد المستنقع، لعبد الرحمن النجدي، ٤٩٨/٣-٥٠٠ .

(*) وهو النية وزيادة الأفعال، كالصلاة، دعاء، وزيادتها .

(*) هو يوم عرفة، ويوم النحر، وأيام التشريق ويقال الحج عبارة عن قصد البيت العتيق بإحرام مخصوص مشتمل على وقوف وغيره، على وجه مخصوص .

فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [1]. أي ولله على الناس فرض واجب حج البيت وأجمع المسلمون على أنه ركن من أركان الإسلام وفرض من فريضة، إجماعاً ضرورياً، وهو من العلم المستفيض الذي توارثته الأمة خلفاً عن سلف، والحكمة والله أعلم، أنه إنما وضع البيت، وأوجب حجه ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾ [2] كما ذكر الله في كتابه لا لحاجة به تعالى إلى الحجاج، كما يحتاج المخلوق إلى من يقصده ويعظمه ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [3].

وأخر الحج عن الصلاة والزكاة والصوم ؛ لأن الصلاة عماد الدين، ولشدة الحاجة إليها ولتكرارها كل يوم خمس مرات وأول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة، ثم الزكاة لكونها قرينة لها في أكثر من موضع من الكتاب والسنة ولشمولها المكلف وغيره، ثم الصوم بتكرره كل سنة [4].

ثانيا : مقاصد الحج :

تبرز أهمية مقاصد الحج بالنظر إلى أنه ركن من أركان الإسلام يطالب به كل مسلم استطاع إليه سبيلاً مرة واحدة في العمر وهو موسم يتكرر كل عام ويشهده الملايين من المسلمين ولكن الكثير منهم يغفل عن تأمل المقاصد الجليلة التي لأجلها شرع الحج، وينشغل بالأحكام الفقهية الدقيقة على أهميتها وحاجة الحاج إليها عن المقاصد والغايات والحكم والدلالات، وهو ما يضعف أثر الحج في إصلاح النفوس والمجتمعات [5]. لذا لابد من معرفة هذه المقاصد وتدبرها، وهي كما يأتي

(١) سورة آل عمران، الآية (٩٧) .
(٢) سورة الحج، الآية (٢٨) .
(٣) سورة البقرة، الآية (٩٧) .
(٤) حاشية الروض المربع شرح زاد المستنقع، لعبد الرحمن النجدي، ٣/٤٩٨-٥٠٠ .
(٥) مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، ع٤٤، ذو القعدة ١٤٢٩هـ، مقالة مقاصد الحج في القرآن الكريم للدكتور / عادل بن علي الشهري أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك بجامعة الملك سعود. ١٥/١٦ .

:

١ – تحقيق التوحيد وإخلاص العبادة لله :

ليس عجباً أن يكون المقصد الأسنى من مقاصد الحج هو تحقيق التوحيد والبراءة من الشرك ؛ لأن الله تعالى ما أمر ببناء البيت إلا لذلك كما قال تعالى ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ (١).

وإننا نجد العلاقة واضحة بين التوحيد والحج في قوله تعالى : ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ﴾ (٢) (٣). إن النبي ﷺ لم يحج في السنة التاسعة حيث فرض الحج ؛ لأن الشرك كان إشارة بادية في محيط المسجد الحرام، حيث كان المشركون يطفون بالبيت عراة، ويحوّلون الحج إلى موسم ومهرجان للوثنية، فبعث النبي ﷺ أبا بكر الصديق أميراً للحج في هذا العام، وأمره أن يبين للناس أمرين : ألا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان.

لقد أمر الله نبيه ﷺ في أول عام بعد فتح مكة أن يعلن البراءة والمفاصلة التامة في أنسب مكان وزمان لهذا الإعلان بين التوحيد والشرك ؛ لأن مكة إنما قام فيها البيت العتيق لإعلاء التوحيد ونبذ الشرك، ولأن أعمال الحج كلها قائمة على توحيد الله والبراءة من الشرك وأهله ويدل على ذلك أن شعار الحج وهي التلبية لا تخرج عن إعلان توحيد الله عز وجل، وإخلاص العبادة له وحده.

---

(١) سورة الحج، الآية (٢٦) .

(٢) سورة التوبة، الآية (٣) .

(٣) ينظر : رسائل إلى الحجيج، د / سليمان العودة، ص١١ .

وهنا ينبغي أن ننبه على أمر يتعلق بهذا [1] المقصد العظيم من مقاصد الحج ألا وهو إخلاص العمل لله، وإذا كان المقصد الأول من مقاصد الحج هو تحقيق التوحيد فإن ذلك لا يتم إلا بإخلاص العبادة لله، وذلك بأن يكون الباعث عليها هو طاعة الله عز وجل ومحبته والخشية منه ورجاء ثوابه لا لأي مقصد من المقاصد الدنيوية، وفي قوله تعالى : ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ [2]. إشعار بأهمية الإخلاص لله تعالى ولذلك فإن النبي ﷺ لما أراد الحج قال: ((اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة)) [3].

فالله سبحانه لا يقبل عملاً أشرك فيه معه غيره كما قال سبحانه في الحديث القدسي: ((أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)) [4].

فلا يقبل الله تعالى إلا ما كان خالصاً، صواباً على السنة، وهذا حسن العمل الذي أراد الله عز وجل بقوله : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [5].

٢ – تطهير النفس من الأخلاق المذمومة [6]:

إن الحج هو بمثابة دورة تدريبية يتخلص فيها الإنسان من الأخلاق المذمومة التي ألفها وتساهل في علاجها ودفعها، فتراكمت عليه عبر سنين حياته وأيام عمره، فهو وقفة للمراجعة والمحاسبة وفرص سانحة يتفقد

(١) ينظر : مجلة جامعة أم القرى، مقاصد الحج في القرآن الكريم، للدكتور عادل الشهري، ١٦/١٥ .
(٢) سورة البقرة، الآية (١٩٦) .
(٣) أخرجه ابن ماجة : كتاب المناسك، باب الحج على الرجل رقم (٢٨٩٠) .
(٤) رواه مسلم : كتاب الزهد والحقائق، باب من أشرك في عمله غير الله رقم (٢٩٨٥) .
(٥) سورة هود، الآية (٧) .
(٦) مقاصد الحج في القرآن الكريم للدكتور / عادل علي الشهري أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك بجامعة الملك سعود، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، ع٤٤، ذو القعدة، ١٤٢٩هـ

الإنسان من خلالها نفسه ويتبع الصفات المذمومة التي علقت به، فيخرجها وينفيها، والصفات الكريمة فيبعثها وينميها، وقد نبه الله تعالى على أهمية ترك الرذائل في الحج بقوله : ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾[1].

وقد ذكر النبي ﷺ في الحديث أن الحج المبرور الذي يترتب عليه مغفرة الذنوب لا يحصل إلا بترك الرفث والفسوق، فقال ﷺ ((من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه)) [2]. وفي هذا الحديث كما قال الجصاص – مواقف لدلالة الآية، وذلك لأن الله تعالى لما نهى عن المعاصي والفسوق في الحج، فقد تضمن ذلك الأمر بالتوبة منها؛ لأن الإصرار على ذلك من الفسوق والمعاصي فأراد الله تعالى أن يحدث الحاج توبة من الفسوق والمعاصي حتى يرجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه [3].

٣ – تزكية النفس للوصول إلى حقيقة التقوى [4]:

إن الحج كما أنه يهدف إلى تطهير النفس من الأخلاق المذمومة فإنه يهدف كذلك إلى تزكية النفس وتحليتها بالأخلاق الكريمة والصفات الطيبة، حتى تشرق النفس وتسمو على الشهوات المهلكة والشبهات المضلة.

ومما يدل على ارتباط التزكية بالتطهير، والتحلية بالتخلية أن الله تعالى بعد أن نهى عن الرفث والفسوق والجدال في الحج قال ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ

(١) سورة البقرة، الآية (١٩٧) .
(٢) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب قول الله تعالى : { فلا رفث ولا فسوق } رقم (١٨١٩)، ومسلم : كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة، ويوم عرفة، رقم (١٣٥٠) .
(٣) أحكام القرآن، ج١ / ١٣٠٨ .
(٤) ينظر : مقاصد الحج في القرآن للدكتور / عادل الشهري

خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (١). فقوله : ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ﴾ تحريض وحث على حسن الكلام مكان الفحش، وعلى البر والتقوى في الأخلاق مكان الفسوق والجدال (٢).

فزاد التقوى هو خير زاد ؛ لأنه الزاد الموصل إلى النجاة يوم القيامة وإلى رضوان الله تعالى وإلى النعيم المقيم في الجنة، والوصول إلى منزلة التقوى هو المقصد الأعظم من مقاصد الحج، بل من مقاصد العبادات كلها. كما قرن بين العبادة والتقوى فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٣)، وقال : ﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (٤).

وقرن بين الصيام والتقوى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٥) وفي الزكاة قال: ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ (٦).

وهذا الربط القرآني الدائم بين العبادات والتقوى يدل على ما امتاز به الإسلام في العبادات، فليست العبادات مجرد طقوس صماء لا تاثير لها في اختلاف الناس وسلوكياتهم ومعاملاتهم، بل هي عبادات حية ذات تأثير إيجابي في تزكية النفوس وتطهير القلوب وإرهاف المشاعر.

وقد نبهت الآية إلى العناية بزاد الآخرة وهو التقوى ؛ لأن مدار النجاة عليه ؛ ولأنه هو السبيل لاكتساب الفضائل والبعد عن الرذائل ؛

(١) سورة البقرة، الآية (١٩٧) .
(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن، لأبو عبد الله القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢/٤١١.
(٣) سورة البقرة، الآية (٢١) .
(٤) سورة الأنعام، الآية (٧٢) .
(٥) سورة البقرة، الآية (١٨٣) .
(٦) سورة الأعراف، الآية (١٥٦) .

ولأنه الزاد الذي يعصم صاحبه من الندم يوم القيامة، وبهذا تبين أن الوصول إلى مرتبة التقوى في الحج يكون أولاً بإخلاص النية لله تعالى، وذلك بأن يكون الباعث عن أداء هذا النسك هو طاعة الله وفعل ما أمر الله به وبهذا ينطلق المسلم إلى هذه الفريضة من خلال قوله تعالى : ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾[1][2].

ويكو كذلك باتباع السنة والحج وفق ما شرعه النبي ﷺ لأمته، ووفق هديه ﷺ في حجته ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام قال : ((لتأخذوا عني مناسككم)) [3] ويكون كذلك بالحذر من الغلو في الدين بالزيادة عليه ما ليس فيه، وبين الله تعالى أن الذي ينتفع من الحج هم أهل التقوى فقط فقال سبحانه : ﴿ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾ [4]. وبين تبارك وتعالى أنه لا يرضى شيئاً من أفعال الحج إلا ما كان مصاحباً للتقوى فقال: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ [5]. فلن تقع هذه اللحوم المتصدق بها، والدماء المراقة بالنحر موقع القبول عند الله تعالى إلا إذا كان الباعث عليها هو تقوى قلوبكم التي تدعوكم إلى تعظيم أمره تعالى والتقرب إليه والإخلاص له.

٤ – إقامة ذكر الله تعالى وشكره على نعمه [6]:

إن تفرغ المسلم لذكر الله عز وجل ودعائه والثناء عليه والاعتراف له

(١) سورة البقرة، الآية (١٩٦) .
(٢) ينظر : مقاصد الحج في القرآن الكريم، للدكتور / عادل الشهري .
(٣) أخرجه مسلم : كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً، رقم (١٢٩٧) .
(٤) سورة البقرة، الآية (٢٠٣) .
(٥) سورة الحج، الآية (٣٧) .
(٦) ينظر : مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، ع٤٤، ذو القعدة ١٤٢٩هـ مقالة مقاصد الحج في القرآن الكريم للدكتور / عادل الشهري، ص٣٣ .

بالفضل والمنة من أكبر مقاصد الحج وغاياته ولذلك فإنه لا يخلو نسك من أنساك الحج من الذكر فالإحرام الذي هو نية الدخول في النسك ذكر بالقلب والتلبية بعد الإحرام ذكر، ويستحب لزوم التلبية والإكثار منها، ولا ينقطع الحاج عنها إلا عند رمي جمرة العقبة يوم العيد، والطواف يقطعه الحاجة في الذكر، وكلما حاذى الطائف الركن اليماني يقول "الله أكبر "[1] وكلما استلم الحجر الأسود أو حاذان يقول " الله أكبر " ويقول بين الركنين اليماني وركن الحجر الأسود : ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [2]. ثم يتوجه الحاج إلى مقام إبراهيم ويصلي ركعتين خلف المقام يذكر فيهما ربه.

ثم يتجه الحاج إلى الصفا وهو يقرأ: ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [3]وهذا ذكر.

ثم يصعد عن الصفا حتى يرى البيت إن تيسر فيستقبل القبلة وهو يقول : "الله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحي ويميت وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده"[4]. ويكرر هذا الذكر ثلاث مرات، ويرفع يديه ويكثر من الذكر، ثم يهبط من الصفا إلى المروة ويقول في سعيه ما شاء من الأدعية، والأذكار الصحيحة النافعة،

(١) وهو مروي من فعل علي ﷺ انظر : أسنى المطالب في شرح روضة الطالب، لمحمد بن درويش الحوث البيروني الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، ٤٨١/١، وحاشية الجمل على شرح المنهج لزكريا الأنصاري، دار الفكر، بيروت، ٤٣٧/٢ .

(٢) سورة البقرة، الآية (٢٠١) .

(٣) سورة البقرة، الآية (١٥٨) .

(٤) رواه مسلم : كتاب الحج باب حجة النبي ﷺ رقم (١٢١٨) .

فإذا صعد المروة قال وفعل مثلما قال وفعل على الصفا وهكذا في بقية الأشواط أما يوم عرفة وهو ركن الحج الأعظم فأبرز ما فيه من أعمال الذكر والدعاء فيستحب الاجتهاد في ذلك لقول النبي ﷺ ((خير الدعاء دعاء يوم عرفة وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله)) (١) وإذا صلى الحاج الفجر بمزدلفة يوم العاشر يستحب له الوقوف عند المشعر الحرام، ويستقبل القبلة ويذكر الله عز وجل ويدعوه دعاء طويلاً حتى يسفر جداً (٢).

ثم يذهب إلى منى فيرمي جمرة العقبة بسبع حصيان يكبر مع كل حصاة، وهذا ذكر ويذكر الحاج ربه عند الذبح أو النحر ويستحب له أن يقول : ((بسم الله والله أكبر اللهم منك ولك، اللهم تقبل مني)) (٣)، وهذا ذكر ودعاء في أيام التشريق يرمي الحاج الجمرات الثلاث يكبر الله عز وجل مع كل حصاة ويستحب بعد رمي الجمرتين الأولى والوسطى أن يتقدم قليلاً مبتعداً عن الزحام فيستقبل القبلة ويدعو دعاءً طويلاً (٤).

ويختم حجه بطواف الوداع وهو ذكر، وبذلك يكون ذكر الله عز وجل هو أبرز الأعمال وأجل العبادات التي يكلف بها الحاج في حجه.

ومن أهم ما أشارت إليه الآيات أن ذكر الله عز وجل ليس هو

(١) أخرجه الترمذي : كتاب الدعوات، باب دعاء يوم عرفة رقم (٣٥٨٥) وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي رقم (٢٨٢٣) .

(٢) ينظر : صحيح البخاري : كتاب الحج، باب من قدم الضعفة أهله بليل فيقفون بالمزدلفة، رقم (١٦٧٦)، ومسلم كتاب الحج، باب استحباب تقديم دفع الضعفة النساء وغيرهم رقم (١٢٩٥) .

(٣) رواه البخاري : كتاب الأضاحي، باب التكبير عند الذبح رقم (٥٥٦٥)، ورواه مسلم، كتاب الأضاحي باب استحباب الضحية رقم (١٩٦٦)، وينظر في ذلك الدر المنثور ٤٨/٦، ومجموع الفتاوى ١٣٦/٢٦ .

(٤) أخرجه البخاري : كتاب الحج، باب رمي الجمرتين يقوم ويستقبل القبلة رقم (١٧٥١) .

قول اللسان فقط مع غفلة القلب، بل إن الذكر المحمود هو الذي يؤثر في القلب فينيره ويزكيه ويطهره.

ولذلك قال تعالى : ﴿ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [1]. أي إذا ذكر الله ظهر عليهم الخوف من عقاب الله والخشوع والتواضع لله، وهذا كقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [2].

٥ – تعظيم حرمات الله وشعائره [3]:

إن من علامات الحج المبرور الذي ليس له جزاء إلا الجنة أن يكون الحاج معظماً حرمات الله وشعائره، غير منتهك شيئاً منها بقول أو فعل، وهو أيضاً من دلائل التقوى والاخبات لله عز وجل.

وقد ذكر الله تعظيم حرماته وشعائره في سياق الحديث عن الحج ومناسكه فقال سبحانه:﴿ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [4].

قال السعدي : " حرمات الله كل ما له حرمة، وأمر باحترامه من عباده أو غيرها كالمناسك كلها، والحرم والإحرام، وكالهدي وكالعبادات

(١) سورة الأنفال، الآية (٧) .
(٢) سورة الرعد، الآية (٢٨) .
(٣) ينظر : مجلة جامعة أم القرى، مقالة مقاصد الحج في القرآن للدكتور عادل الشهري، ص٤٠ .
(٤) سورة الحج، الآيات (٢٩-٣٢) .

التي أمر الله العباد بالقيام بها، فتعظيمها إجلال بالقلب، وصحتها وتكميل العبودية فيها غير متهاون ولا متكاسل ولا متناقل " [1].

وأما شعائر الله، فعن ابن عباس رضي الله عنهما : " أنها البدن والهداية وأصلها الإشعار وهو إعلامها أنها تهدي، وتعظيمها استحسانها " [2].

ولا شك أن البدن والهدايا جزء من شعائر الله، ولكن الآية تتناول ذلك وغيره من مناسك الحج.

٦ – تحقيق معاني الوحدة والأخوة الإسلامية [3]:

المساواة – والمواساة :

من أهم مقاصد الحج وأهدافه، تحقيق معاني الوحدة والأخوة الإسلامية، ففي الحج تتساوى الرؤوس ولا تستطيع أن تفرق فيه بين غني وفقير، أو بين شريف ووضيع أو بين رئيس ومرؤوس، فالكل يلبس البياض إشارة إلى فقره وحاجته وضرورته إلى الله تعالى، وإلى أنه لن يخرج من الدنيا إلا بهذا الإزار والرداء لا فضل لأحد على أحد بمال أو جاه أو لون أو نسب أو أي عرض من أعراض الدنيا، وإنما يشرف الإنسان في هذا الموضع بالتقوى والعمل الصالح.

إن الحج مؤتمر سنوي يجتمع فيه المسلمون من أنحاء المعمورة فيشكلون كتلة بشرية تقدر بالملايين من البشر، ولا أعلم أن مؤتمر ضم مثل هذا العدد في أي مكان في العالم، فحري بقادة هذه الوفود الإسلامية أن يجتمعوا ويتشاوروا في أمور المسلمين وقضاياهم العامة، ويبحثون في أحسن الوسائل لتحسين مستوى المسلمين في جميع الأقطار

(١) ينظر : تيسير القرآن الكريم، عبد الرحمن السعدي، ص٤٨٦ .

(٢) ينظر : اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي، ٨٤/١٤ . دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ .

(٣) المرجع السابق، مجلة جامعة أم القرى، ع٤٤، ١٤٢٩هـ، ص ٤٥-٤٦ .

مادياً وأدبياً وأخلاقياً واجتماعياً، ومن لهم ينفرون إلى بلادهم وهم يحملون إلى أخوانهم آراء وسياسة راشدة تعود على المسلمين بالخير العاجل والآجل، وإذا استمر هذا التشاور كل عام عاد بالفائدة على جميع الدول الإسلامية في جمع كلمتها وصون وحدتها، وضمان سعادتها، واعزاز رأيها، وزيادتها على مرور الأيام قوة على قوة، وانظر إلى قول الله تعالى: ﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴾ (١).

فمن هذه المنافع اجتماع المسلمين في بلادهم المقدسة وتعاونهم وبذلك تتقارب قلوبهم وإن تباعدت أجسامهم وتجتمع كلمتهم وإن تفرق شملهم، وتنتظم صفوفهم وإن تبعثرت وجهاتهم، فيصبحون على كثرتهم وتعدد أوطانهم، وتباعد بلادهم جسماً واحداً إذا اشتكى منه عضو فيه تداعى له سائره بالحمى والسهر (٢).

وفي قوله : ﴿ وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴾ إشارة إلى استكمال معاني الوحدة والأخوة الإسلامية بمواساة الفقراء البؤساء.

قال ابن عباس رضي الله عنهما : البائس : الذي ظهر بؤسه في ثيابه وفي وجهه، والفقير الذي لا يكن كذلك فتكون ثيابه نقية ووجه وجه غنى (٣).

وهذا يدل على أن المسلم أن يبحث عن أصحاب الحاجة الذين : ﴿ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ ﴾ (٤). فيواسيهم باللحم وغيره ويعطي كذلك من ظاهرة الفقر والبؤس، لا يبخل على أحد

(١) سورة الحج، الآية (٢٨) .
(٢) انظر : الحج مقالة للأستاذ محمود إبرهيم طيرة، مجلة الإسلام، العدد (٤٦)، السنة الرابعة ذو القعدة سنة ١٣٥٤هـ، ص ٢١٨١-٢١٨٣ .
(٣) اللباب ٧٦/١٤ .
(٤) سورة البقرة، الآية (٢٧٣) .

في هذا الموسم. كان هذا الاجتماع العالمي السنوي ضرورياً لبقاء الوحدة الإسلامية واستمرارها ؛ لأنه يربط جميع الشعوب والبلدان الإسلامية بمهبط الوحي ومنبع الرسالة، وبذلك يعمل على التعارف والاختلاط والامتزاج والتزاور بين المسلمين، وهذا يؤدي إلى التقارب والحد من حدة التفاوت بين هذه الأجناس والشعوب، ويكون في الوقت نفسه تدريباً عملياً على التسامح والاغتناء عن الفوارق الشكلية التي لا يخشى أن تحدث صدعاً في كيان الجماعة العظمى، إن على المسلمين أن يتنادوا بالوحدة الإسلامية –وبخاصة في موسم الحج – بعد أن فرقتهم الدعوات التي تستهدف إضعاف شوكتهم وتفرقهم وانشغال كل فريق منهم بذات نفسه وقد حذرنا ربنا تعالى من هذا المصير فقال : ﴿ **وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ (١).

ولكن الوحدة التي نرجوها هي وحدة الإيمان والعقيدة فكلمة التوحيد قبل توحيد الكلمة ولذلك فإن الله تعالى أمرنا بالاجتماع على كتابه والتمسك بحبله فقال : ﴿ **وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ** ﴾ (٢). وقال: ﴿ **إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾ (٣). فالإيمان هو المدار الذي تدور حوله روابط الأخوة والمحبة والتعاون (٤).

٧ – إشاعة الأمن بين المسلمين (٥):

إن الأمن من نعم الله الكبار التي لا تستقيم حياة الناس بدونها، ولا تشعر أمورهم بفقدانها. وإذا فقد الأمن حصل البلاء والفتنة، وحل

(١) سورة آل عمران، الآية (١٠٥) .
(٢) سورة آل عمران، الآية (١٠٣) .
(٣) سورة الحجر، الآية (١٠) .
(٤) مقالة الدكتور / عادل الشهري، ص٤٨ .
(٥) ينظر : المرجع السابق .

الشقاء، وقتلت الأنفس المعصومة، واستبيحت الحرمات، وكسدت التجارات وبارت السلع.

إذا فقد الأمن عمت الفوضى، وتعطلت مصالح العباد، وضامت بالناس السبل، وانتشرت الجرائم، وكثرت الحوادث، وخوت المساجد وعاث المجرمون في الأرض فساداً، أما علاقة الحج بالأمن فهي علاقة وثيقة، حيث إنه لا يتصور قيام هذه الفريضة إلا في ظلال من الأمن والسلام والطمأنينة إن أعداد الحجاج تزداد كل عام رغبة هؤلاء في أداء هذا الركن من أركان الإسلام، وكذلك بسبب أمنهم على أنفسهم وأموالهم، ولولا نعمة الأمن التي تمتع بها حجاج بيت الله الحرام لتناقص العدد عاماً بعد عام، والله تعالى علق أداء مناسك الحج على الأمن فقال : ﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ﴾[1] قال ابن كثير فإذا تمكنتم من أداء المناسك.

لقد دعا الخليل إبراهيم عليه السلام بأن يسود الأمن هذا البلد الحرام فقال : ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾[2]. وقال : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾[3].

وقد استجاب الله دعاءه فجعل هذا البلد آمناً من الآفات فلم يصل إليه جبار إلا قصمه الله كما فعل بأصحاب الفيل، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾[4].

ووصف الله مكة بأنها بلد أمين فقال : ﴿ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾

(١) سورة البقرة، الآية (١٩٦) .
(٢) سورة البقرة، الآية (١٢٦) .
(٣) سورة إبراهيم، الآية (٣٥) .
(٤) سورة البقرة، الآية (١٢٥) .

(١).

٨ – تحصيل المنافع :

إن شهود المنافع وتحصيلها هو المقصد الرئيسي من مقاصد الحج ؛ لأنه يجمع المقاصد السابقة وغيرها مما يذكر هو من المنافع التي ذكرها الله في قوله : ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾ (٢). قيل: إن المنافع هي مشهود المواقف وقضاء المناسك، وقيل : إنها مغفرة الذنوب قاله الضحاك وقيل : هي التجارة قاله : سعيدبن جبير، ولكن الصحيح من ذلك قول ابن عباس هي منافع الدنيا والآخرة، أما منافع الآخرة فرضوان الله تعالى، وأما منافع الدنيا فيما يصيبون من منافع البدن والذبح والتجارات وهذا قول مجاهد وغير واحد.

ومن المنافع الدينية :

١ – مغفرة الذنوب وتكفير ما سبق من الخطايا لقوله ﷺ : ((من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه)) (٣). وقوله ﷺ : ((الحج يهدم ما كان قبله)) (٤).

٢ – دخول الجنة لقوله ﷺ : ((الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة)) (٥).

٣ – حصول التقوى : لقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ (٦).

٤ – إجابة الدعاء لقوله ﷺ ((الحجاج والعمار وفد الله، دعاهم فأجابوه

---

(١) سورة التين، الآية (٣) .

(٢) سورة الحج، الآيتان (٢٧-٢٨) .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) ينظر : صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله، رقم (١٢١) .

(٥) أخرجه البخاري : كتاب الحج، باب وجوب العمرة وفضلها، رقم (١٧٧٣)، ومسلم : كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة، في يوم عرفة، رقم (١٣٤٩) .

(٦) سورة الحج، الآية (٣٢) .

وسألوه فأعطاهم)) [1].

٥ – تحصيل أجر المجاهدين : لقوله ﷺ : ((جهاد الكبير والصغير والمرأة : الحج والعمرة))[2].

٦ – العتق من النار لقوله ﷺ : ((ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفه)) [3].

ومن المنافع الدنيوية :

١ – المكاسب المادية من التجارة وغيرها لقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[4].

٢ – الإصابة من لحوم الهدي والذبائح لقوله تعالى : ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾[5].

٣ – تحقيق مبدأ التكامل الاجتماعي وذلك بالعطف على الفقراء ومواساة أهل الحاجة قال تعالى : ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾[6].

٤ – تحقيق مبدأ التعارف بين المسلمين لقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾[7].

٥ – عقد المؤتمرات الإسلامية في حل مشكلات المسلمين في كل مكان.

---

(١) أخرجه ابن ماجة، كتاب المناسك، باب فضل دعاء الحاج، رقم (٢٨٩٢)، والبيهقي في الكبرى ٢٦٢/٥، والطبراني في الأوسط ٢٧٤/٦، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة .

(٢) أخرجه أحمد برقم (٩١٦٣)، والنسائي، كتاب الحج، باب فضل الحج رقم (٢٦٢٦) وحسنه الألباني .

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة رقم (١٣٤٨).

(٤) سورة البقرة، الآية (١٩٨) .

(٥) سورة الحج، الآية (٣٣) .

(٦) سورة الحج، الآية (٢٨) .

(٧) سورة الحجرات، الآية (١٣) .

٦ – إيجاد قنوات لتبادل السلع والمنتجات والخبرات بين بلدان العالم الإسلامي بدلاً من استيرادها من الخارج.

الخاتمة

تبين لنا من خلال البحث أن الإسلام يمتاز على جميع الأديان والشرائع بفرضه العبادات واشتمالها على المقاصد الشرعية الجليلة والتي تعتبر تربية كاملة للمسلم تورثه نفساً مشربة بمعاني الإيمان جميعاً وحياة طيبة عامرة بالعبادة وصالح الأعمال.

فمن نتائج هذا البحث :

١ – أن من معاني مقاصد الشريعة هي الغايات والأهداف والنتائج والمعاني التي أتت بها الشريعة الغراء وأثبتتها الأحكام الشرعية، وسعت إلى تحقيقها وإيجادها والوصول إليها في كل زمان ومكان.

٢ – موضوع مقاصد الشريعة بيان وعرض حكم الأحكام وأسرار التشريع، وغايات الدين، ومقاصد الشارع، ومقصود المكلف ونيته.

٣ – ومن فوائدها :

١ – إبراز علل التشريع وحكمه وأغراضه ومراميه الجزئية والكلية العامة والخاصة، في شتى مجالات الحياة وفي مختلف أبواب الشريعة.

٢ – عون المكلف على القيام بالتكاليف والامتثال عن أحسن الوجوه وأتمها.

٤ – ومن قواعدها :

مقاصد الشارع :

١ – وضع الشرائع إنما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل معاً.

٢ – المقاصد العامة للتعبد هي : الانقياد لأوامر الله تعالى وإفراده بالخضوع والتعظيم لجلاله والتوجه إليه.

٣ – الأصل في الأحكام الشرعية الاعتدال والتوسط بين طرق التشدد، والتخفيف.

مقاصد المكلف :

١ – الأعمال بالنيات والمقاصد معتبرة في التصرفات من العبادات والعادات.

٢ – المقاصد أرواح الأعمال.

ومن طرق معرفتها :

١ – الأمر بالفعل يستلزم قصد الشارع إلى وقوع الفعل والنهي يستلزم القصد منع وقوع النهي.

٢ – علل الأحكام تدل على قصد الشارع فحيثما وجدت اتبعت.

٣ – الامتنان بالنعم يشعر بالقصد إلى تناولها والتمتع بها مع الشكر عليها.

٥ – من خلال مقاصد الشريعة نستطيع فهم النصوص وتوجيهها واستنباط الأحكام الشرعية منها.

٦ – العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة.

٧ – عدم اعتبار الشارع للأفعال التي وقعت من غير قصد.

٨ – النية سر العبودية وروحها.

٩ – من مقاصد الصلاة :

١ – تحقيق مبدأ الامتثال والانقياد في نفس المصلي.

٢ – إصلاح النفس وتهذيبها وتخليصها من الفواحش والمنكرات.

٣ – انشراح الصدر وطمأنينة القلب وإراحة البال.

٤ – ترسيخ العقيدة الإيمانية.

٥ – عون على الصبر والمجاهدة.

٦ – تحقيق الآثار الاجتماعية والإنسانية وتنميتها.

١٠ – ومن مقاصد الزكاة :

١ – تطهير نفس المزكي من الشح والأنانية.
٢ – تطهير المال من الآفات والنقصان والتلف.
٣ – تحقيق أواصر التضامن والتآلف والتراحم والتواد.
٤ – الزكاة تكفر الخطايا وتدفع البلاء.
٥ – الزكاة امتحان من الله لعباده.
٦ – إعانة الضعفاء وكفاية أصحاب الحاجة.

١١ – ومن مقاصد الصيام :
١ – تحقيق التقوى والوقاية من كل العيوب والأمراض الجسدية والنفسية والاجتماعية.
٢ – سد منافذ الشيطان وتضيقها، مما يكون له الأثر في إزالة المعاصي والمنكرات وتنقيصها وتقليلها.
٣ – تذكر الفقراء والمعوزين.
٤ – الاعتكاف والسجود وقراءة القرآن في رمضان.
٥ – الصوم صحة الأذهان وسلامة الأبدان.

١٢ – ومن مقاصد الحج :
١ – تحقيق التوحيد وإخلاص العبادة لله.
٢ – تطهير النفس من الأخلاق المذمومة.
٣ – تعظيم حرمات الله وشعائره.
٤ – تحقيق معاني الوحدة والأخوة الإسلامية.
٥ – إشاعة الأمن بين المسلمين.

هذه إجمال ما توصلت إليه من نتائج في هذه الأطروحة العلمية، وأسال الله العلي العظيم أن أكون قد وقفت إلى الصواب وهذا بتوفيق من الله العلي القدير وأن أخطأت فمني ومن الشيطان وأسال الله العلي القدير التوفيق والسداد لما يحبه ويرضاه.

فهرس المراجع

١) القرآن الكريم.
٢) صحيح البخاري (جامع الصحيح المختصر) لمحمد بن إسماعيل بن عبد الله البخاري الجعفي، طبعة دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
٣) منهج استنباط أحكام النوازل الفقهية المعاصرة، دراسة تأصيلية تطبيقية، تأليف الدكتور / مسفر بن علي بن محمد القحطاني، دار الأندلس الخضراء، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
٤) مقاصد الشريعة عند الإمام العز بن عبد السلام، تأليف الدكتور / عمر بن صالح بن عمر، دار النفائس، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.
٥) الأحكام في أصول الأحكام، لعلي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.
٦) الموافقات، لآبي إسحاق الشاطبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.
٧) نهاية السول مع شرح البدخشي، ج١.
٨) حاشية البناني على شرح الجلال، ج٢.
٩) مقاصد الشريعة، وهبه الزحيلي.
١٠) نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، للدكتور / أحمد الريسوني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
١١) أصول الفقه الإسلامي، للدكتور / وهبه الزحيلي.
١٢) مقاصد الشريعة العامة للدكتور إبراهيم سلقيني.
١٣) شرح الكوكب المنير لمحمد بن أحمد بن عبد السلام الفتوحي المعروف بابن النجار، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٠هـ.

١٤) حاشية البناني على جمع الجوامع.
١٥) تعليل الأحكام، للشيخ محمد مصطفى شلبي .
١٦) علم المقاصد الشرعية للدكتور / نور الدين بن مختار الخادمي، العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
١٧) مقاصد الشريعة الإسلامية فضيلة العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق : مدرسة محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس، الأردن، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
١٨) مقاصد الشريعة عند ابن قيم الجوزية، تأليف الدكتور سميح عبد الوهاب الجندي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.
١٩) مقاصد المكلفين النيات في العبادات، عمر سليمان عبد الله الأشقر، دار النفائس، الأردن، الطبعة الثانية ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.
٢٠) الصلاة فقهها وأسرارها، محيي الدين.
٢١) تفسير القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج القرطبي.
٢٢) بداية المجتهد لابن رشد، ج١.
٢٣) سنن أبو داود.
٢٤) فتح القدير لكمال الدين الهمام.
٢٥) مسند أحمد.
٢٦) تفسير ابن كثير، ج١.
٢٧) الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم لأبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل، بيروت.
٢٨) صحيح الجامع للألباني.
٢٩) حاشية الروض المربع شرخ زاد المستنقع، لعبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، ج١، الطبعة الثانية.

٣٠) فلسفة العبادات في الإسلام، للدكتور / عبد الفتاح محمد العيسوي، دار الوفاء الإسكندرية.
٣١) فقه الزكاة للقرضاوي، ج٢.
٣٢) مقاصد الصوم للعز بن عبد السلام، دار الفكر المعاصر، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.
٣٣) مقاصد الصلاة للعز بن عبد السلام، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.
٣٤) الصلاة، تأليف الدكتور عبد الله بن محمد الطيار .، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.
٣٥) زاد المعاد لابن القيم الجوزية، ج١.
٣٦) مجلة جامعة أم القرى، لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية ع (٤٤) ذو القعدة ١٤٢٩هـ مقالة مقاصد الحج في القرآن الكريم للدكتور / عادل بن علي الشهري.
٣٧) رسائل الحجيج، الدكتور سليمان العودة.
٣٨) تيسير القرآن الكريم، عبد الرحمن السعدي.
٣٩) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.
٤٠) مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، تأليف : علاء الفاسي، مؤسسة علاء الفاسي، الطبعة الخامسة، ١٩٩٣م.
٤١) المستشفى في علم الأصول، لمحمد بن محمد الغزالي، أبو حامد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــــــــوع	الصفحة
المقدمة. **الفصـــل الأول** : معنى المقاصد وبيان موضوعاها وفوائدها وأهميتها وطرق إثباتها **المبحث الأول** : بيان معنى المقاصد لغة واصطلاحاً مع بيان موضوع مقاصد الشريعة وفوائدها. **المبحث الثاني** : قواعد المقاصد وكيفية معرفتها وأهميتها وطرق إثباتها. **الفصل الثاني** : المقاصد من العبادات البدنية (الصلاة، الزكاة، الصيام، الحج). **المبحث الأول** : مفهوم العبادة وحدودها وأصل معناها مع بيان مصطلح العبادة عند الفقهاء والأصوليين. **المبحث الثاني** : الأدلة على أن المقاصد قصيرة في العبادات والتصرفات. **المبحث الثالث** : المقاصد الشرعية من العبادات البدنية (الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج). – مقاصد الصلاة. – مقاصد الزكاة. – مقاصد الصوم. – مقاصد الحج. ☞ الخاتمة. ☞ فهرس الآيات ☞ فهرس الأحاديث. ☞ فهرس المراجع. ☞ فهرس الموضوعات.	